469

HARLEQUIN

روايات أحلام

سجينة القصر

جين بورتر

www.elromancia.com
مرمورية

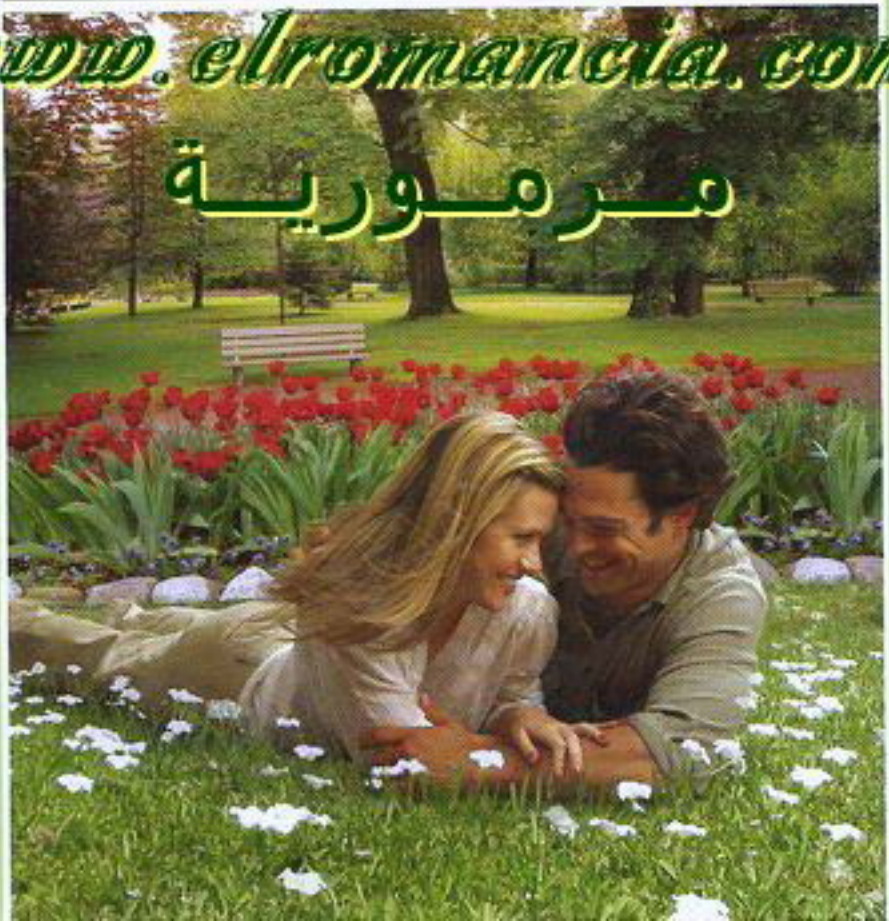

سجينة القصر

إنه مستحيل ، مزعج ويجعلها تشعر بالغضب ... لكنه لا يقاوم ! كريستيان كومنتاروس هو أصعب مريض عرفته اليزابيث . واضطرت للاهتمام به . الملياردير اليوناني المتغطرس معتاد على التحكم بمن حوله . وهو لم يتقبل إصابته بالعمى من جراء تحطم طائرته .

إنه يرفض الخضوع لرحمة الموظفين لاسيما النساء منهم . وحدها اليزابيث شعرت بسحر شخصيته وجاذبيته .

بدا الأمر خارجا عن سيطرتها . وعرفت أن عليها المغادرة تماما كما فعلت الممرضات السبع اللواتي أتين للاهتمام بكريستيان قبلها .

لكن كريستيان لن يدعها تغادر وسيستخدم كل الأسلحة التي ما زال يملكها لمنعها .. بما في ذلك قدرته على إغوائها .

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
At The Greek boss's bidding
First published in Great Britain 2006
Harlequin Mills & Boon Limited
© Jane porter 2007
Translation © Dar El-Farasha - 2010
ISBN 978 - 9953 - 15 - 486 - 2

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 453115 - 961-1-450950- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

جين بورتر

كبرت جين بورتر مع قصص ميلز أند بونز، فكانت تقرأ الروايات حتى ساعة متأخرة من الليل وهي تحت اللّحاف حتى لا تراها أمّها. وكتبت أول رواية لها في الثامنة من عمرها. أمضت معظم سنواتها الجامعية مسافرة تنهل من الحضارات الأخرى وتابعت القراءة بنهم. استقرت جين في سياتل، واشنطن، مع ولديها الرائعين.

www. janeporter.com

تمهيد

اصطدمت الطائرة المروحية بالانحناءات الصخرية للجبل المغطى بطبقات كثيفة من الثلج.

تطاير الزجاج، وصرّ الحديد على الصخور، وانطلقت ألسنة اللهب الحمراء من المحرك المشتعل، ما حوّل المكان الذي لطالما رآه كريستيان كومنتاروس صفحة من اللون الأبيض الناصع إلى مزيج من النار والجليد.

عانى كريستيان كي يتخلص من حزام الأمان، فيما أصبح عاجزاً عن رؤية أي شيء أمامه. تحركت المروحية، وانزلقت عدة أقدام. انتشرت النيران في كل مكان، بينما أحاط اللهب الحامي بكريستيان من كل الجهات. سحب حزام الأمان من جديد حتى تمكن من نزعه.

ملأ الدخان رئتيه، وبدأت أنفاسه تنقطع.

فكر كريستيان بارتباك أن أمامه خيار بين الحياة والموت، وهو قرار لا يختلف كثيراً عن القرارات الأخرى. يقوم الإنسان بما عليه القيام به، وبعد ذلك ينتظر العواقب.

فعل كريستيان ما يجدر به فعله، والآن سينتظر النتيجة.

فيما ارتفع هدير اشتعال النيران أكثر انزلقت المروحية مجدداً فوق الثلج.

يا إلهي! رمى كريستيان نفسه، ومد يديه في الهواء كي يتمسك بأي شيء تصل إليه يداه، لكنه لم يجد ما يتمسك به بل راح يتدحرج حتى اصطدم بكتلة ثلجية متحركة.

فكر وهو يكاد يصاب بالصمم بسبب صوت الانفجار: انهيار ثلجي آخر!

ولم يشعر بشيء بعد ذلك...

١ . أعمى وصمّاء

- آه . . . لا! لست مهتماً . قل لها أن ترحل .

هذا الصوت الخشن العميق لا يمكن أن يكون إلا صوت كريستيان كومنتاروس نفسه .

وقفت إليزابيث هاتشت وسط القاعة الخارجية أمام المكتبة، وأخذت نفساً عميقاً وهي تحاول المحافظة على شجاعتها . لن يكون الأمر سهلاً، لكن في النهاية ما من شيء سهل في ما يخص حالة كريستيان كومنتاروس . الحادث لم يكن سهلاً وكذلك فترة إعادة التأهيل ولا حتى الوصول مكان إقامته .

استغرقت الرحلة يومين . أتت بالطائرة من لندن إلى أثينا، ثم استقلت السيارة إلى سبارتا . بدت الرحلة من أثينا إلى سبارتا من دون نهاية . مع ذلك كان عليها متابعة الرحلة مشياً على القدمين لبعض الوقت ثم ركوب عربة يجرها الحمار لنصف المسافة عبر الجبل في أراضٍ وعرة قاسية .

لم تستطع إليزابيث أن تفهم لِما قد يرغب أي كائن لاسيما رجل لا يمكنه الرؤية أو المشي أن يسكن في دير قديم بني فوق منحدرات صخرية في تايغتوس، أحد أعلى الجبال في بيلوبونيز . لكن الآن، وبما أنها وصلت إلى هنا، فهي غير مستعدة للرحيل قريباً من جديد .

- قطعت المرأة مسافة طويلة كي . . .

تمكنت إليزابيث من معرفة صاحب الصوت . إنه أحد الخدم الذين التقت بهم عند الباب .

- اكتفيت من المساعدة المزعجة التي يقدمها مركز الرعاية . تباً لهم!

أغمضت إليزابيث عينيها، وعدّت حتى العشرة . . .

سبق لفريق العمل في أثينا أن أخبرها أنها ستقوم برحلة طويلة إلى أحد القصور القديمة . تم تحذيرها بأن الوصول إلى تايغتوس ذات الطبيعة الوعرة متعب تماماً كالاهتمام بكريستيان . أشار مساعدوها أيضاً إلى أن الرحلة عبر هذا الجبل المليء بالآثار البيزنطية يبدو مستحيلاً، لكنها حالما ركبت العربة التي يجرها الحمار وجدت أنها مستعدة للأمر . ظنت أنها تعرف ما هي قادمة عليه، تماماً مثلما ظنت أنها تدرك ما تفعله حين وافقت على الاهتمام بالسيد كومنتاروس بعد خروجه من المشفى الفرنسي . وفي الحالتين أخطأت إليزابيث التقدير .

جعلتها الرحلة المتعبة تشعر بالارهاق وبالألم في معدتها وفي رأسها .

موافقتها على الاهتمام بالسيد كومنتاروس ليستعيد صحته جعلتها تعاني الأمرين . من الواضح أنه على وشك جعل شركتها تشرف على الإفلاس .

شعرت إليزابيث بالتوتر لسماعها صوت تحطم زجاج . تلت ذلك مجموعة كبيرة من اللعنات والشتائم باللغة اليونانية .

- إنه مجرد زجاج . . . سيتم تغييره سريعاً .

- أنا أكره هذا بانو . . . أكره كل شيء . . .

- أعلم ذلك .

أصبح صوت بانو خفيضاً الآن، ولم يعد باستطاعة إليزابيث أن تسمع الكثير مما يقال، لكن يبدو أنه كان يحاول تهدئة أعصاب السيد كومنتاروس . إلّا أن ذلك لم يساعد في تهدئة أعصاب إليزابيث على الإطلاق . قد يكون السيد كريستيان كومنتاروس مالك ثروة طائلة وقادراً على تحمل مستوى معيشي يسمح له بالانعزال عن العالم والعيش في جبال بيلوبونيز، لكن ذلك لا يبرر تصرفاته . من الواضح أن تصرفاته سببها نفسيته المحطمة وحالته المزرية . إنها هنا لأن كريستيان كومنتاروس لم يستطع التعامل مع أي ممرضة من اللواتي أتين قبلها بسبب أعصابه الثائرة وغضبه الدائم .

ارتفعت الأصوات من جديد في المكتبة . استمعت إليزابيث -وهي تحيد

اللغة اليونانية بامتياز - إلى المحادثة التي تدور بشأنها. كريستيان كومنتاروس لا يرغب بوجودها هنا، أما بانو وهو أحد كبار الخدم فأخذ يقنعه بأن ليس من التهذيب أن يطلب من الممرضة الرحيل من دون أن يقابلها. لكن السيد كومنتاروس قال إنه لا يكترث للتصرف بتهذيب.

التوى فم إليزابيث حين سمعت الخادم يقترح تقديم العصير لها، لكن ابتسامتها الملتوية اختفت بسرعة حين أجابه كريستيان أن ممرضات مركز الرعاية البدينات لا يرفضن تناول أي شيء يقدم إليهن، وربما تود الآنسة هاتشت أن تستفيد من تناول وجبة طعام كاملة.

أصر بانو قائلاً: «أحضرت الآنسة هاتشت معها حقيبة وأمتعة، وهي تنوي البقاء».

- البقاء؟!

- نعم سيدي.

كلماته جعلت كريستيان يطلق المزيد من الشتائم.

- بحق السماء، بانو! دع بقايا الزجاج الآن، واذهب للتعامل معها. زودها بعربة، وأحضر لها حماراً. قم بذلك الآن.

- لكنها أتت من لندن...

- لا يهمني إن كانت قد أتت من القمر. ليس من شأنها القدوم إلى هنا. تركت لها رسالة مع شركة التأمين. تلك المرأة تعرف تماماً أنني لم أطلب منها المجيء، وليست مشكلتي أنها أضاعت وقتها.

بمناسبة ذلك الحديث فكرت إليزابيث وهي تفرك رقبتها للتخلص من الألم أنها تضيع وقتها بالوقوف هنا. حان الوقت لتقدم نفسها له وتقطع ذلك النقاش. رفعت كتفيها، وأخذت نفساً عميقاً، ثم دفعت الباب الطويل لينفتح. أصدر كعبا حذائها المنخفضان طقطقة خفيفة على الأرض الخشبية فيما دخلت إلى الغرفة.

- مساء الخير، سيد كومنتاروس.

جالت بعينيها بسرعة على النوافذ وعلى طاولة القهوة وعلى الجرائد

المكدسة فوق طاولة موضوعة في الزاوية.

- أنت متطفلة، ومسترقة للسمع!

قال كريستيان ذلك من كرسيه المتحرك، فيما الغضب والسخط باديين بوضوح في صوته.

بالكاد نظرت إليزابيث نحوه. توجهت نحو الطاولة المليئة بالأدوية التي وصفت له، وقالت: «أنت تصرخ سيد كريستيان، لذا ما من داع لاسترقاق السمع. أما بالنسبة لكوني متطفلة فربما أكون كذلك لو لم أكن هنا بسبب المهمة التي أوكلت إلي وهي الاهتمام بك».

أخذت إليزابيث إحدى علب الدواء لتقرأ الوصفة، ثم حملت علبة أخرى. أول أمر قد يخطر ببال مسؤول طبي هو أن يعرف ما هي الأدوية التي يتناولها المريض.

ارتعد جسد كريستيان في كرسيه المتحرك وهو يحاول اللحاق بمصدر الصوت ليفهم تحركاتها. كانت عيناه مغطاتين بضمادة بيضاء تلتف حول رأسه، فيما تعاكس اللون الأبيض مع لون شعره الأسود.

- استغنيت عن خدماتك مسبقاً.

- تم رفض طلبك، ولست أنت من يقرر في هذا الأمر الآن.

أجابته إليزابيث بذلك وهي تعيد علب الدواء إلى الطاولة لتراقبه. أظهرت الضمادة المربوطة حول عينيه شكل وجهه وتقاسيمه. بدت عظام وجنتيه بارزة، أما ذقنه فقاسية وفكه القوي مغطى بلحية سوداء خشنة. مما يبدو الآن، لاشك أنه لم يحلق ذقنه مذ غادرت الممرضة السابقة.

انحنى كريستيان ببطء في كرسيه، وقال: «من الذي يقرر إذاً؟».

- معالجوك الفيزيائيون.

- معالجي الفيزيائيون؟

- نعم! نحن على اتصال يومي بهم سيد كومنتاروس، والأشهر الأخيرة جعلتهم يشككون بقدراتك العقلية.

- لاشك أنك تمزحين!

- على الإطلاق! هناك نقاش يدور حول نقلك للاهتمام بك بشكل أفضل في . . .

- اخرجي من هنا!

صرخ كريستيان وهو يشير بإصبعه نحو الباب: «اخرجي الآن».

لم تتحرك إليزابيث بل أحنت رأسها لتراقبه عن كثب. بدا منظره مشعثاً ورثاً بعكس ما كتب عنه في السابق بأنه رجل ثري أنيق، يملك القصور والأراضي في جميع أصقاع الأرض، وبأن لديه عشيقة في كل مكان.

- إنهم يشعرون بالقلق عليك، وكذلك أنا. أنت بحاجة إلى المساعدة.

- هذا محال. لو كان أطبائي قلقين بشأني لأتوا إلى هنا، أما أنت فلا تعرفينني. لا يمكنك أن تأتي وتطلقي الأحكام بعد دقيقتين من المراقبة.

- بل أستطيع، لأنني أتابع حالتك منذ اليوم الأول. . . منذ أن خرجت من المستشفى. لا أحد يعرف أكثر مني عنك وعن الاهتمام اليومي بك. لو أنك كنت هكذا من قبل لاعتقدنا أن تصرفاتك هذه هي جزء من شخصيتك، لكن اليأس أمر جديد. . .

- لست يائساً. أنا متعب فقط.

- إذاً دعنا نتعامل مع ذلك. هل هذا ممكن؟

فتحت إليزابيث ملفها الجلدي، وسحبت منه ورقة ملاحظات. على المرء أن يكون حذراً هذه الأيام. عليها حماية وكالتها وفريق عملها، لذا تعلمت منذ البداية أن تسجل كل شيء.

- من المؤسف أنك لاتزال بهذه الحالة. من المؤسف أن تعزل نفسك هنا في تايغتوس بينما هناك الكثير من الأشخاص بانتظارك في أثينا، وهم يريدونك أن تعود إلى المكان الذي تنتمي إليه.

- أنا أعيش هنا بشكل دائم الآن.

حدقت إليزابيث به، وقالت: «ألا تنوي العودة يوماً؟».

- أمضيت سنوات وأنا أقوم بإصلاح هذا المكان وتحويله إلى منزل عصري يلبي كل حاجاتي.

- حصل هذا قبل أن تصاب، أما الآن فالعيش هنا ليس أمراً عملياً بالنسبة إليك. لا يمكنك أن تطير. . .

- لا تخبريني بما يمكنني أو لا يمكنني فعله!

ابتلعت إليزابيث ريقها، وحاولت من جديد: «ليس من السهل أن يأتي أصدقاؤك وعائلتك لزيارتك. أنت منعزل تماماً هنا».

- هذا ما أتمناه.

- لكن كيف ستستطيع أن تتعافى كلياً وأنت بمفردك في مكان يعتبر بدون شك من أكثر الأماكن عزلة وبعداً في اليونان؟

حرك كريستيان رأسه ما جعلها تشعر بقوته وعنفوانه، ثم ردد بعناد وبصوت بارد: «هذا هو منزلي».

- ماذا عن الشركة والأعمال؟ هل تخليت عنها إلى جانب تخليك عن عائلتك وأصدقائك؟

- أهكذا تتصرفين دائماً؟

- آه! نعم. أنا لست هنا لأهدهد لك سيد كومنتاروس، أو لأسمعك الأشياء الجميلة. أنا هنا لجعلك تقف على قدميك من جديد.

- لن يحدث هذا.

- لأنك تحب أن تكون عديم الجدوى أم لأنك خائف من الألم؟

لم يقل كريستيان شيئاً للحظة. أخيراً وجد صوته فقال: «كيف تجرؤين؟ كيف تجرؤين على اقتحام منزلي. . .؟

- لم يكن اقتحاماً سيد كومنتاروس. استغرقت الرحلة يومين إلى هنا بما في ذلك استخدام الطائرة وسيارات الأجرة والحافلات وحتى الحمار.

ابتسمت إليزابيث قليلاً، إنه آخر مكان تتمنى أن تقصده، وهو آخر شخص تتمنى الاعتناء به. تابعت تقول: «مرت سنة على الحادث. لم يعد هناك من سبب طبي لتكون عديم الجدوى».

- اخرجي من هنا!

- لا يمكنني ذلك بما أنه لا يوجد مكان آخر أقصده. عليك أن تعرف

أن الظلام حل وأصبح من الصعب ركوب الحمار نزولاً

- لا . . . لا أعلم، فأنا أعمى. لا فكرة لدي عن الوقت أو اليوم.

شعرت إليزابيث بالحماوة في وجنتيها، كما شعرت بالانزعاج والقرف معاً. إن كان يتوقع أن تشعر بالأسف من أجله فهو مخطئ، وإن كان ينوي أن يهددها أو يخيفها فهو مخطئ أيضاً. بإمكانه أن يصرخ ويكسر الأغراض، لكنها لا تنوي الشعور بالجبن كجرو كلب صغير. كونه يونانياً مشهوراً يملك شركة تساوي مليارات الدولارات لا يعني أنه يستحق احترامها.

- إنها الساعة الرابعة سيد كومنتاروس، ومعظم أجزاء الجبل أصبحت مغمورة بالظلال. أنا لا أستطيع العودة الليلة حتى لو أردت ذلك، كما أن أطباءك أعطوني الصلاحية لأبقى هنا، وهذا ما سأفعله. إما أن تقبل ببقائي أو أنه سيتم نقلك إلى مركز إعادة التأهيل في أثينا. عليك أن تختار.

- هذه ليست خيارات واسعة.

- لا!

حملت إليزابيث أحد الأدوية الموصوفة له، ثم فتحت العلبة البلاستيكية كي تعرف كم حبة بقيت لديه. هناك ثلاث فقط من أصل ثلاثين. أعيد وصف هذا الدواء له منذ أسبوع فقط!

- أمازلت تعاني من قلة النوم سيد كومنتاروس؟

- نعم.

- مازلت تعاني من الألم إذاً!

شدت دفتر الملاحظات فوق صدرها وهي تحدق به. على الأرجح أنه أصبح مدمناً على مسكنات الألم هذه.

تحرك كريستيان كومنتاروس في كرسيه.

- وكأنك تكترثين!

لم يرف لإليزابيث جفن. لن تسمح بأن يجعلها رثاؤه لنفسه تشعر بالشفقة. الرثاء للنفس هو جزء من العلاج، لكنه يأتي في المراحل الأولى. وبما أن كريستيان كومنتاروس لم يتجاوزها بعد، فهذا يعني أنه لايزال أمامه

درب طويل ليقطعه. أجابته بجفاء: «بل أنا أهتم».

لكنها لم تقل إنها أيضاً تكترث لمستقبل شركتها «مركز الدرجة الأولى للرعاية»، ولم تقل إن تقديم العناية الطبية لكريستيان كومنتاروس كاد يدمر الشركة التي أسستها منذ أربع سنوات.

- أنا أكترث، لكنني لست كالأخريات. لن أعاملك برقة، ولن أتحمل أعذارك لأسمح لك بتنفيذ عميلة القتل.

- وما الذي تعرفينه عن القتل أيتها الآنسة العظيمة؟

حرك كريستيان كرسيه إلى الأمام، فأخذت العجلات تفتت الزجاج المنتشر على الأرض.

- كن حذراً سيد كومنتاروس! ستثقب العجلات.

- جيد. أريد أن أثقبها. أنا أكره هذا الكرسي. . . أكره كوني لا أرى، وأكره العيش بهذا الشكل.

أطلق شتيمة بينما أنهى خادمه تنظيف الأرض بمكنسة صغيرة. ما إن هدأ كريستيان حتى أخفض كتفيه وأرخى رأسه. إنه اليأس!

رنّت الكلمة في أذنها مفسرة كل ما تراه وما تشعر به. مزاجه السيء ليس نابعاً من غضبه، بل هو أسوأ من ذلك. إنه نابع من يأسه. إنه يائس بالفعل فهو مجرد بقايا رجل، كما فكرت إليزابيث وهي تشعر بالقليل من التعاطف.

ما إن شعرت بذلك التعاطف يملؤها حتى دفعته بعيداً واستبدلت الحنان بالحزم. سيتحسن بالتأكيد. ما من سبب يمنعه. أشارت لبانو بأنها تريد أن تتكلم مع سيده بمفردهما، فهز رأسه وغادر المكتبة مع الوعاء المليء ببقايا الزجاج.

بعد أن أغلقت باب المكتبة قالت له: «الآن سيد كومنتاروس علينا أن نسترجع برنامج إعادة التأهيل، لكن لا يمكننا القيام بذلك إن بقيت مصراً على إزعاج ممرضاتك».

- كن جميعهن غير صالحات ودون المستوى المطلوب. . .

قاطعته وهي تجلس: «الممرضات الست... كلهن؟».

جميع الممرضات المتخصصات في مركز الرعاية جربن التعامل معه. في الواقع لم يعد هناك من يرسلونه. بالرغم من ذلك لا يمكن ترك السيد كومنتاروس بمفرده. إنه بحاجة لأكثر من مجرد خادم. فهو لايزال بحاجة إلى اهتمام طبي على مدار الساعة.

أخذ كريستيان يطرق بأصابعه فوق المقبض المعدني للكرسي المتحرك، ثم قال: «إحدى الممرضات لم تكن سيئة. حسناً! إنها كاليستا. لكن صدقيني، إن كانت هي الأفضل، فعليك أن تستنتجي كم أن الأخريات سيئات».

- الآنسة أرفانتينوس لن تعود.

بدأ غضب إليزابيث يتصاعد. بالطبع! طلب كريستيان إعادة الممرضة التي تحكّم بها بشكل فظيع. بالكاد تخرجت الفتاة المسكينة من مدرسة التمريض لتقع بين يدي كريستيان كومنتاروس! بالنسبة لرجل أصيب بجروح مميتة، يبدو أنه خبير جداً في الإغواء.

أحنى كريستيان رأسه، وقال: «أهذا اسم عائلتها؟».

- تصرفت معها بطريقة سيئة جداً. إنك في الثلاثين... ماذا؟».

قلبت إليزابيث ملفه، وتحققت من عمره، ثم تابعت تقول: «... تكاد تبلغ السادسة والثلاثين من عمرك وهي بالكاد تبلغ الثالثة والعشرين. هل تعلم أنها استقالت؟ تركت مكتبنا في أثينا بعد أن شعرت بضعف كبير في ثقتها بنفسها».

- لم أطلب منها أن تقع في حبي!

- في حبك؟ ليس للحب دخل بالموضوع. أنت أغويتها.

- فهمتني بشكل خاطئ أيتها الممرضة كراتشيت...

صمت كريستيان قليلاً، ثم تابع يقول: «أنت إنكليزية. أليس كذلك؟».

- أنا أتكلم الإنكليزية. نعم.

- حسناً، كراتشيت! لقد فهمتني بشكل خاطئ. أنا عاشق، ولست محارباً.

تدفقت الدماء إلى وجنتي إليزابيث: «هذا يكفي!».

انخفض صوته، وأصبح أكثر عمقاً وخشونة وهو يقول: «أنا لم أفرض نفسي على امرأة يوماً. ما حصل هو أن العزيزة اللطيفة كاليستا هي من فرضت نفسها علي».

- سيد كومنتاروس!

بدأت إليزابيث تشعر بعدم الارتياح، فأمسكت قلمها بشدة. إنها تكره ابتسامته الساخرة ونبرة صوته. تمكنت من معرفة السبب الذي جعل كاليستا تستقيل. كيف ستتمكن فتاة صغيرة من التعامل معه؟

تابع كريستيان يقول: «أعتقد أنها أرادت أن تعرف ما الذي يستطيع أن يفعله شخص معوق مثلي، لكنها اكتشفت أنه بالرغم من أنني لا أمشي لكنني لا أزال...».

- سيد كومنتاروس! أنا لا أريد سماع التفاصيل.

وقفت إليزابيث من مكانها، فيما شعرت فجأة بالظلام يلف الغرفة. لم تدرِ لماذا كانت الستائر والنوافذ مغلقة تمنع دخول الهواء المنعش.

دفع كريستيان كرسيه المتحرك نحوها وهو يقول: «لكنك تحتاجينها».

كان كُمّا قميصه الزرقاء القطنية مرفوعين إلى الخلف فوق ذراعيه، فظهرت عروقه النافرة تحت بشرته. كان يملك بشرة سمراء جميلة في ما مضى، لكنها اختفت منذ فترة طويلة. بهت اللون الأسمر بسبب قضاء أشهر طويلة داخل المنزل. تابع يقول: «ربما وصلتك معلومات خاطئة مفادها أنني استغليت كاليستا. حصلت كاليستا على ما أرادت الحصول عليه».

أدارت إليزابيث رأسها بعيداً، وصرت أسنانها، ثم قالت: «كانت رائعة؛ ممرضة شابة واعدة».

- لا أعلم إن كانت رائعة، لكنها ساذجة. وبما أنها استقالت بدأت تبعثين لي الممرضات السيئات الآتيات من الجحيم.

- نحن لا نوظف ممرضات آتيات من الجحيم. جميع الممرضات لدينا

ذوات كفاءة عالية ويملكن صبراً . . .

- لكنهن مقرفات!

تراجعت إليزابيث إلى الخلف وهي تعبس: «ماذا؟ إنه اتهام قاسٍ وغير صحيح».

- قاسٍ، لكنه صحيح. لم أردهن في منزلي، وكنت أرفض أن يلمسنني.

هكذا إذاً! لم يكن يريد ممرضات بل فتاة آتية من أحد أفلام آخر الليل؛ شعر طويل، جسم متناسق وتلبس تنورة ضيقة قصيرة. أخذت إليزابيث نفساً عميقاً وهي تجاهد للمحافظة على صبرها. حسناً! لن تسمح للسيد كومنتاروس بالتغلب عليها. لن يستطيع فعل ذلك.

- هل كانت كاليستا تملك رائحة مقرفة أيضاً؟

- لا، بل تملك رائحة من الجنة.

للحظة شعرت إليزابيث أن كريستيان يبتسم. في الواقع ابتسامته تلك جعلت إليزابيث تشعر بالسخط الشديد. اقترب منها أكثر، وتابع يقول: «لكن بعد رحيل كاليستا بدأت ترسلين لي الممرضات العجائز كي تعذبيني. . . كي تعاقبيني على ما هو في الحقيقة ذنب كاليستا، ولا تقولي إنهن لسن عجائز. صحيح أنني أعمى، لكنني لست غبياً».

ارتفع ضغط دم إليزابيث مجدداً، وقالت: «أرسلت إليك ممرضات ناضجات، لكنهن مدربات بشكل ممتاز ومهيئات للعمل الصارم».

- إحداهن كانت رائحتها كرائحة محل لبيع السجائر، وأخرى كرائحة محل يبيع السمك. هناك واحدة أخرى بدت كأنها تعمل على متن سفينة حربية.

- أنت تهين ممرضاتي!

- أنا أتكلم بصدق. أنت استبدلت كاليستا بحارسات سجون.

ازداد غضب إليزابيث، وشدت شفتيها معاً. كريستيان كومنتاروس محق تماماً. بعد معاناة المسكينة كاليستا عمدت إليزابيث إلى تعيين ممرضات كبيرات في السن لا يتجاوبن مع إغوائه، إنما يقمن بالاعتناء به فقط.

ابتسمت ابتسامة باهتة وهي تشعر بالقليل من التسلية. قد يكون كريستيان عاجزاً عن المشي وفاقداً للبصر، لكن عقله يعمل بشكل ممتاز.

كانت لاتزال تبتسم وهي تدرس حالته بقلة صبر مدركة خطورة جراحه والأشهر الطويلة المؤلمة من إعادة التأهيل. إنه محظوظ للنجاة من حادث مروع كالذي تعرض له. يمكن للجرح الذي أصاب رأسه أن يحدث تأثيرات جمة في الدماغ، لكن لحسن الحظ أن عقله بقي سليماً. بإمكانه أن يسير من جديد، لكن مسألة استعادة البصر بقيت غير مضمونة. في بعض الأحيان يقوم الدماغ بشفاء نفسه وفي أحيان أخرى لا يفعل، لكن الوقت والعلاج المستمر هما اللذان يقرران. أجبرت إليزابيث نفسها على التكلم بحماس وهي تقول: «حسناً! أصبح ذلك كله من الماضي الآن. لقد تخلصت من الممرضات مصارعات الثيران، وأنا هنا الآن. . .».

- وأنت على الأرجح أسوأ منهن جميعاً.

- بالفعل! أنا كذلك. يقول الجميع إنني أسوأ كابوس قد يصيب أي مريض.

- إذاً، بإمكاني مناداتك الممرضة كراتشيت؟

- إن أردت ذلك، أو بإمكانك مناداتي الممرضة هاتشت، وسأرد بجميع الأحوال.

جلس كريستيان بصمت، والحذر يزداد في تعابير وجهه. شعرت إليزابيث بالابتسامة ترتفع على جانبي فمها. لم يستطع هزمها. إنها تعلم تماماً كيف يفكر اليونانيون الأثرياء. سبق أن تزوجت بأحدهم.

- حان وقت التحرك، وأول أمر سنبدأ به هو وجبة الطعام. أعلم أن الوقت متأخر، لكن هل تناولت الغداء؟

- لست جائعاً!

أقفلت إليزابيث دفتر الملاحظات، وأعادت القلم إلى حقيبتها الجلدية.

- أنت بحاجة إلى تناول الطعام. جسدك بحاجة إلى الغذاء. سأحاول إعداد وجبة خفيفة.

تحركت نحو باب المكتبة وهي غير مستعدة لتضييع الوقت بالنقاش.

حرك كريستيان كرسيه إلى الأمام، فاصطدم بالأريكة من دون قصد. ظهر الغضب في كل زاوية من وجهه، وقال: «أنا لا أريد أن آكل...».

- بالطبع لا. لماذا تأكل بينما أصبحت مدمناً على الأدوية المسكنة للألم؟

أظهرت إليزابيث ابتسامة شديدة لم يستطع كريستان رؤيتها، وتابعت تقول: «الآن اعذرني. سأرى ما يمكننا إعداده لإطعامك».

يقع المطبخ الحجري في قبو داخل البرج. وجدت هناك الخادم والطباخة ومدبرة المنزل مجتمعين حول طاولة حجرية تعود للعصور الوسطى. كانوا يجرون حديثاً شيقاً فلم يتنبهوا لدخول إليزابيث. وعندما أدركوا أنها أصبحت هناك صمت الثلاثة، واستداروا ليواجهوها.

قالت محاولة التغاضي عن الترحيب الجليدي: «مرحباً! أعتقد أن بإمكاني تقديم المساعدة في ما يخص غداء السيد كومنتاروس».

تابع الجميع التحديق بها إلى أن قام بانو بالتكلم: «السيد كومنتاروس لا يتناول الغداء».

- هل يتناول فطوراً متأخراً؟

- لا! القهوة فقط.

- إذاً، متى يتناول الطعام؟

- لا يأكل إلا في المساء.

- فهمت. وهل يأكل جيداً في المساء؟

عبست إليزابيث بينما راقبت الموظفين الثلاثة وهي تتساءل منذ متى هم يعملون في خدمة كريستيان كومنتاروس، وكيف يتعاملون مع مزاجه السيء.

أجابت الطباخة القصيرة وهي تمسح يديها بمئزرها الأبيض: «أحياناً، لكنه بالكاد يأكل شيئاً في أحيان أخرى. في السابق كان يتمتع بشهية على الطعام فيأكل السمك والموساكا والدولما والجبنة واللحمة والخضار، لكن ذلك كان قبل الحادث».

هزت إليزابيث رأسها وهي سعيدة لأن أحدهم يعرفه من قبل وقوع الحادث. هذا جيد، فالوفاء علامة جيدة، لكن استخدام الوفاء بشكل خاطئ قد يعرقل مسيرة شفاء كريستيان كومنتاروس.

- سنبدأ بتقديم وجبة خفيفة له في الحال. ربما نعد سلطة هورياتيكي.

اقترحت إليزابيث السلطة اليونانية التي يفضلها الأوروبيون والأميركيون.

- لا بد من وجود مكان مشرق في الخارج حيث بإمكانه الاستمتاع بوجبته. يحتاج السيد كومنتاروس إلى التعرض لأشعة الشمس وتنشق الهواء النقي...

- عذراً سيدتي، لكن الشمس تزعج السيد كومنتاروس.

- هذا لأنه يقضي الكثير من الوقت في الظلام. سيفيده الضوء كثيراً. تحرك أشعة الشمس غدده النخامية، وتساعده على التخلص من اكتئابه ما يعجل عملية الشفاء. لكن بما أنني لاحظت أنه يمضي معظم الوقت في الداخل بإمكاننا تقديم الطعام اليوم في مكان ظليل. أعتقد أنه يوجد مكان مسقوف على الشرفة.

أجابت الطباخة: «نعم، سيدتي. لكن السيد كومنتاروس لن يقبل بالخروج».

- آه! بل سيفعل.

ابتلعت إليزابيث ريقها، واستجمعت كل ما لديها من تصميم. علمت أن كريستيان سيخرج في النهاية، لكن ذلك سيحدث بعد صراع طويل.

جلس كريستيان في المكتبة، وأصغى إلى صوت خطوات الممرضة الانكليزية وهي تبتعد متوجهة نحو المطبخ، وبعد دقائق طويلة سمعها وهي عائدة. رفع رأسه وهو ينظر إلى الفراغ بما أنه لا يرى سوى الظلمة منذ وقوع الحادث، أي منذ أربعة عشر شهراً وأحد عشر يوماً.

فتح الباب، وعلم كريستيان من طريقة لمسة يدها على الباب ومن وقع خطواتها أنها هي. قال حالما دخلت إلى الغرفة: «أنت مخطئة في أمر آخر.

www.elromancia.com

الحادث لم يقع منذ عام. بل منذ سنة ونصف تقريباً. في شهر شباط».

توقفت إليزابيث عن السير، وشعر كريستيان بها. إنها بعيدة عن نظره وعن مناله. أزعجه عدم قدرته على الرؤية. لقد حقق ما حققه في حياته بفضل نظره وعقله وشجاعته. أما الآن فقد فقد نظره وشجاعته، ومن دونهما لم يعد يعرف ما هو حقيقي وواقعي.

ردت ممرضته التي تبدو كالكابوس قائلة: «هذا أسوأ. كان عليك العودة إلى العمل مع حلول هذا الوقت. لديك مؤسسة لتديرها وأشخاص يعتمدون عليك. أنت لا تفيد أحداً بالجلوس في قصرك بهذا الشكل».

- لا يمكنني إدارة شركتي وأنا أعمى ومقعد...

- بإمكانك السير من جديد، وهناك احتمال بأن تستعيد نظرك...

- بنسبة تقل عن الخمسة بالمئة.

ضحك بمرارة، وتابع يقول: «أتعلمين؟ قبل آخر جولة من العمليات الجراحية كانت أمامي نسبة خمسة وثلاثون بالمئة لأرى من جديد، لكنهم أفسدوا...».

- لم يفسدوا نظرك، لكن العلاج كان في مرحلة الاختبار.

- نعم، لكن ذلك الاختبار قلص نسبة استعادة نظري إلى الصفر تقريباً.

- ليس صفراً!

- خمسة بالمئة. ما من فرق كبير. لاسيما حين يقولون إن العملية لو نجحت فلن أستطيع القيادة من جديد ولا الطيران ولا الابحار، وإنني قد أعرض نفسي للخطر إن عدت للقيام بما كنت أقوم به في السابق.

- وهل ترد على ذلك بالجلوس هنا في الظلام متمسكاً بالضمادات على عينيك، وتشعر بالأسى على نفسك؟

تحرك كريستيان في كرسيه وهو يشعر بمقت وكره تجاه كراتشيت. إنها تقف إلى يمينه وتصرفاتها المتعجرفة تزعجه كثيراً. قال لها: «تم الاستغناء عن خدمات شركتك».

- لا!

- ربما أنا أعمى، لكن يبدو أنك صماء. تلقى مركز الدرجة الأولى للرعاية الشيك المصرفي الأخير. لن يكون هناك المزيد. لن ندفع المزيد من أجل الرعاية.

سمعها تخرج نفساً سريعاً ناعماً، ما جعله يجفل. في تلك اللحظة بالذات شعر كريستيان أنه مخدوع. قوّم ظهره في كرسيه بتذمر، وأمسك بمحرك العجلات، وحدق حيث تخيل أنها تقف. ليس عليه أن يشعر بالذنب. قطب حاجبيه بقوة؛ إنه ذنبها. أتت إليه وراحت تتكلم بنبرة متسلطة. لم يقع الحادث بالأمس. إنه يعيش على هذا النحو منذ فترة طريلة، وهو لا يحتاجها أن تخبره بهذا وذاك وكأنه لا يستطيع فعل شيء بنفسه. إنها الممرضة هاتشت كراتشيت، ممرضته السابعة، وهي تحمل العقلية نفسها التي تحملها ممرضاته الست السابقات. بنظرهن يجعله الكرسي المتحرك أقل جدارة، وكأنه عاجز عن التفكير بنفسه. كرر لها بحزم وتصميم كي يتخلص من المسألة نهائياً: «لن أدفع لك بعد اليوم. لقد انتهى عملك وعمل شركتك هنا».

سمع ذلك الصوت مجدداً... ذلك الصوت الذي جعله يجفل. لكن هذه المرة فهم معناه: إنها تضحك. إنها تضحك منه! هي تضحك وتمشي حول كرسيه من جهة إلى أخرى كي ترهق رأسه وهو يحاول لحاق مصدر الصوت.

شعر بيديها تستريحان فوق ظهر الكرسي. لابد أنها انحنت إلى الأمام أو ربما هي قصيرة أساساً، لأن صوتها بدا قريباً جداً من أذنه: «لست أنت من تدفع لي الآن. تمت إعادتنا إلى العمل معك، وكلفنا بمتابعة تقديم الرعاية. لكن هناك مصدر خاص يقوم بذلك».

شعر كريستيان بالبرد يتسلل إلى جسمه ويصل حتى قدميه، بالرغم من إحساسهما المحدود.

- ماذا؟!

ردّت إليزابيث وهي تدفع كرسيه إلى الأمام: «هذا صحيح. لست الوحيدة التي تفكر أنه حان وقت التعافي».

تابعت دفعه إلى الأمام بالرغم من مقاومته، وأضافت: «ستتحسن قريباً».

ثم أضافت وهي تهمس بلطف في أذنه: «سواء أردت ذلك أم لا».

٢ ـ نعمة الحياة

تمسّك كريستيان بالعجلات كي يمنعها من تحريك الكرسي، وقال: «من يدفع المال للاهتمام بي؟».

تكره إليزابيث المماطلة، وهي لا تؤمن بالتكتم، لكنها وقعت تعهداً وعليها أن تكون أمينة عليه. أجابته قائلة: «آسفة سيد كومنتاروس. أنا لست مخولة بالكلام».

لكن جوابها استفزه أكثر، فدفع رأسه إلى الخلف، وقال: «لن أدع أحداً يتحمل كلفة الاهتمام بي، لاسيما أنها خدمة غير مرغوب بها».

انزعجت إليزابيث من الانتقاد، فهذه شركتها وهي من تقوم بمقابلة الممرضات وتعيينهن وتدريبهن للعمل في المركز. هو لا يعرف ذلك بالطبع، وهي لن تخبره الآن. ما يهم الآن هو جعل السيد كومنتاروس يلتزم بنظام معين مع أوقات محددة للطعام والتمارين والراحة، وللقيام بهذا عليها أن تقنعه فعلاً بتناول الغداء الآن.

- بإمكاننا التحدث أكثر أثناء تناول الغداء.

أخذت تدفع الكرسي من جديد نحو الشرفة، لكن كريستيان واصل محاولة منعها من تحريك العجلات قائلاً: «لا أحب أن يدفعني أحد».

ابتعدت إليزابيث عنه، وحدقت به وهي ترى للمرة الأولى الندوب الزهرية اللون التي ظهرت تحت كم قميصه. حاولت أن تتذكر كم عظمة انكسرت في يده. كاد كريستيان يموت من فداحة الحادث، لكنه تمكن من البقاء على قيد الحياة. والآن لن تسمح له بالاستسلام وسجن نفسه داخل منزله.

www.elromancia.com

تمسكت بصبرها إلى أقصى الحدود، وقالت: «لم أدرك أنك تستطيع تحريك الكرسي بنفسك».

- بإمكاني فعل ذلك لمسافات قصيرة فقط.

- هذا ليس كالسير على القدمين. أليس كذلك؟

فكرت إليزابيث بحسرة، لو أنه يستطيع التقدم... لو أنه يستطيع السير... لمَ لا يمكنه ذلك؟

- أهذه فكرتك عن التشجيع؟

زمت إليزابيث شفتيها. كريستيان بارع تماماً في لعب الشخصيتين. في لحظة يكون عدائياً وفي اللحظة التالية يصبح الضحية. والأسوأ أنه ينجح في التغلب عليها، بالرغم أنها لم تتنازل يوماً لأحد من قبل.

- أنا أقول الحقيقة فقط سيد كومنتاروس. أنت لا تزال في الكرسي لأن عضلاتك ضمرت منذ الحادث. لكن في البدء كان الأطباء يتوقعون أن تسير من جديد.

ظنوا أنك قد تود القيام بذلك! فكرت إليزابيث.

- لكن ذلك لم ينجح.

- لأنك تتألم كثيراً؟

- لأن العلاج لم ينفع.

- بل لأنك استسلمت.

دفعت الكرسي بقوة من جديد، فيما تابعت تقول: «والآن، ماذا عن الغداء؟».

ألن يترك العجلات أبداً؟

- ما رأيك لو أخبرتني من الذي يدفع ثمن خدماتك الآن، وبعد ذلك ستتناول الغداء؟

إنه يمتع بحس القيادة بشكل واضح، وهو معتاد على السيطرة في كل شيء. لكنها قائدة أيضاً، وهي تحب أن تنفذ خططها. أجابته بحزم: «لا يمكنني إخبارك. ليس قبل أن تبدأ السير من جديد».

استدار ليراها بالرغم من أنه لم يرَ شيئاً: «تستطيعين إخباري الآن».

- ليس قبل أن تسير من جديد.

- لِمَ لا؟

- هذا أحد شروط الاتفاق.

- لكنك تعرفين ذلك الشخص؟

- تكلمنا عبر الهاتف.

جلس كريستيان بهدوء، وقد تغيرت تعابير وجهه وهو يفكر. استدار من جديد ليسألها: «كم من الوقت سيمر قبل أن أتمكن من السير؟».

- هذا يعتمد عليك بالكامل. للأسف، تصلبت عضلات وركيك ولم تعد كالسابق، لكن ذلك لا يعني أنه لا يمكن إصلاح ذلك. أنت تحتاج فقط إلى العلاج الفيزيائي المنظم.

- حتى مع العلاج سأحتاج دائماً إلى استخدام العصا.

سمعت إليزابيث المرارة في صوته، لكن ذلك لن يخدمه في تلك اللحظة.

- ربما ستحتاج إلى العصا، لكن أليس ذلك أفضل من الكرسي المتحرك؟ ألن تستمتع بكونك مستقل الحركة من جديد؟

- لن يكون الأمر كالسابق أبداً.

- يتعرض الناس للتغيير كل يوم سيد كومنتاروس.

- لا تحاولي تشجيعي.

بدا صوته عميقاً وخشناً ومليئاً بالسخط.

- أنا لا أحاول هذا. أنا فقط أحاول أن أفهم. وإن كان غيرك قد مات وأنت...

- لا تتفوهي بكلمة أخرى!

- سيد كومنتاروس، أنت لست أقل قيمة من غيرك لأنك حي وغيرك قد توفي.

- إذاً أنت لا تعرفينني. لا تعرفين من أنا حقاً أو بالأحرى من كنت في السابق. الجزء الأفضل في داخلي مات ذلك اليوم في الجبل... الجزء الجيد

www.elromancia.com

فيّ اختفى وأنا أحاول أن أنقذ الشخص الذي لم أكن أحبه حتى.

ضحك بمرارة فيما أخفت تلك الضحكة كرهه لنفسه، ثم قال: «أنا لست بطلاً. أنا وحش».

ثم أمسك بقسوة تلك الضمادة ونزعها بقوة عن عينيه. استدار بغضب ليواجه نور الشمس، وتابع يقول: «هل ترين الوحش الآن؟».

أخذت إليزابيث نفساً دافئاً بينما لامس الضوء تعابير وجهه القاسية. برزت ندوب جرح على الجهة اليمنى من وجهه انتهى قرب عينه تماماً. كان الجلد لايزال زهري اللون، وعلمت أنه يوماً ما سيختفي ليصبح كلون بشرته العادية. لكن لم يكن الجرح هو الذي جعلها تنظر نحوه بهذه الطريقة. بدا كريستيان كومنتاروس بالغ الوسامة بالرغم من الندوب التي غطت وجهه بدءاً من زاوية فمه حتى عينه.

- أعطاني الله وجهاً يعكس ما في قلبي. أخيراً أصبح داخلي ومظهري الخارجي مناسبين لبعضهما.

قال ذلك فيما أخذت يداه ترتجفان فوق حضنه.

بالكاد تمكنت إليزابيث من التنفس. سببت كلماته الكثير من الألم والكثير من الحزن لها، فشعرت بدموعها تنهمر من عينيها.

- أعطاك الله وجهاً يتلاءم مع قلبك، وهذا يعني أنك تملك قلباً جميلاً أيضاً. لأن الندوب لا يمكنها تدمير جمال الوجه أو جمال القلب.

أخذت إليزابيث نفساً عميقاً. لم يقل كريستيان شيئاً، لذا تابعت تقول: «بالإضافة إلى أنني أعتقد أن هذه الندوب تناسبك، فقد كان مظهرك رائعاً أكثر من اللزوم».

بقي صامتاً للحظة أخرى، لكنه أطلق بعد ذلك ضحكة أشبه بضحكة حيوان، وقال: «أخيراً. هناك من يقول لي الحقيقة».

تجاهلت إليزابيث الألم الذي شعرت به في داخلها. شيء ما في ذلك الرجل... في ذلك الوجه الذي يحمل الندوب... في تلك الحياة المفككة وذلك الغضب والنار والذكاء والعاطفة لامس قلبها وأحاسيسها، انحنت

بجانب كرسيه وهي تقول: «أنت رجل جذاب بالرغم من ندوبك».

- إنها ندوب بشعة تغطي وجهي كله. باستطاعتي الشعور بها.

- إذا فأنت رجل مستسلم سيد كومنتاروس.

تأرجح وجهه وبدا ضبابياً كلون عينيه الأزرق العميق الذي يحبس الأنفاس. لا يلائمه الجلوس في الكرسي المتحرك. إنه ضخم وقوي، ومن الخطأ أن يتحدد جسده وشخصيته بهذا الكرسي.

قال كريستيان وهو يطلق ضحكة أخرى: «لا أحد يود أن يشعر كفرانكشتاين».

علمت إليزابيث أن ليس وجهه ما يجعله يشعر بالاحباط بل قلبه وعقله. تلك الذكريات التي ترافقه وتذكره بالماضي حيث وقع ذلك الحادث. عرفت ذلك لأنها عانت الأمر نفسه من قبل. تعرضت هي أيضاً لحادث مروع أخذت تفاصيله تمر في ذهنها بشكل متواصل، لكنها لن تسمح لتجاربها الخاصة وعواطفها أن تتدخل في حكمها عليه. عليها أن تستعيد بعض السيطرة، وتعود بسرعة إلى ارتباطها المهني. إنها ليست هنا من أجله بل من أجل العمل. هي ليست مهتمة بحبه كتلك المرأة التي تنتظر شفاءه في أثينا. حبيبته هي التي تصر على جعله يسير ويرى من جديد، ولهذا السبب هي هنا لتساعده على الشفاء كي يعود إلى حبيبته.

علقت إليزابيث وهي تحاول إخفاء مشاعرها المفاجئة: «أنت لا تشبه فرانكشتاين مطلقاً».

وقفت على قدميها، ورتبت تنورتها وقميصها، ثم تابعت تقول: «إن كنت تطلب الغزل فدعني أعطيه لك. الندوب تلائمك، فهي تعطي وجهك شخصية مميزة. إنها تجعلك تبدو بعيداً عن عارض أزياء أو ممثل سينمائي وأقرب إلى الرجل الحقيقي».

كرر بضحكة مريرة: «الرجل الحقيقي؟».

- نعم. مع بعض الحظ والكثير من العمل ستعود قريباً إلى العمل كأي رجل عادي.

مرت فوق وجهه مشاعر مضطربة: المفاجأة ثم الارتباك ثم... راقبت إليزابيث الارتباك يتحول إلى غضب. لقد جردته من أسلحته وجرحته. ابتلعت الشعور بالذنب، ومنعت نفسها من تقديم الاعتذار الذي اندفع على لسانها. هي لم تقصد أن تجرحه بل أرادت تحفيزه على التحسن. أضافت بقليل من الرقة: «قمت بقيادة الطائرة المروحية فوق أصعب الجبال في العالم كي تنقذ نصف دزينة من...».

- توقفي!

عذابه بدا واضحاً لها. مهمتها كممرضة هي المساعدة في شفاء الجروح وليس إيلام الجروح التي لم تشفَ بعد. لكن في بعض الأحيان يبدو المرضى مغمورين بألمهم الجسدي ويأسهم العقلي فيغرقون في العذاب. هي تعرف أن الرجال المميزين الجريئين الذين يهوون المخاطر سريعو التأثر. هولاء الرجال يصبحون محطمين، ولا شيء يمكنه التخفيف من ألمهم ليساعدهم على الشفاء.

قبل أن يتمكن من الكلام للتعبير عن أي نوع من الغضب أو الانتقاد مجدداً انحنت على الطاولة الموضوعة أمامهما قائلة: «قام موظفوك بعمل رائع سيد كومنتاروس فقد أعدوا طاولة مميزة على الشرفة. هل باستطاعتك الشعور بالهواء العليل؟ بإمكانك أن تشم رائحة الصنوبر في الهواء».

- أنا لا أشمها.

- إذاً، تعال إلى هنا حيث أقف أنا. بإمكانك التمتع برائحة الأعشاب في حديقتك كالنباتات العطرية والليمون.

لكنه لم يتقدم بالكرسي، بل حركها إلى الوراء نحو الظلال وقال: «الشمس قوية جداً. الضوء يصيبني بألم في رأسي».

- حتى لو وضعت لك الضمادة من جديد؟

- حتى لو وضعتها من جديد.

أصبح صوته خشناً وهو يتابع: «أنا لا أريد أن أتناول الطعام. سبق أن أخبرتك بذلك لكنك لا تسمعين جيداً. لا تريدين أن تسمعي مثل الجميع».

- بإمكاننا نقل الطعام إلى الداخل...

- أنا لا أريد أن آكل.

باندفاع شديد حرك كريستيان الكرسي نحو المكتبة الأكثر برودة، وفي طريقه ارتطم بطاولة جانبية فانكسرت. أطلق الشتائم بسخط، ثم ارتطم مجدداً بقطعة من المفروشات.

شعرت إليزابيث بالتوتر، لكنها حاربت رغبتها الطبيعية بالاقتراب بسرعة لمساعدته. أرادت أن تركض نحوه، لكنها علمت أن ذلك لن يفيد إلا في إطالة فترة علاجه. لن تلعب هذا الدور. لن تسمح له بمتابعة ما كان يقوم به...

بأعصاب حديدية تركته إليزابيث يشتم ويرتطم مجدداً بتلك الطاولة التي حطمها، ومشت ببطء نحو الطاولة ذات الغطاء الكتاني ذي اللون الأزرق المشرق والتي تتوسطها باقة من الأزهار، وعادت لتركز جميع أفكارها على أمر واحد هو كريستيان كومنتاروس.

الأمر يتطلب أن تتكلم معه بحدة. إنها لا تحب المواجهة، لكنها لم تضطر لفعل ذلك قبل اليوم. وبصراحة هي لا تعرف ما الذي يمكنها أن تفعله معه غير ذلك. جربت وكالتها كل شيء. أرسلوا أفضل الممرضات، وشاركوا في جميع أنواع العلاجات لكن ذلك كله ذهب سدى.

جلست إليزابيث إلى الطاولة مدركة أن سبب إرهاقها ليس عناد كريستيان فقط بل وجود كريستيان نفسه. لقد دخل الرجل إلى أعماقها...

لم يحصل ذلك بسبب وسامته. هذا لا يعقل! إنها ليست سطحية حتى يحركها وجه جميل وجسد متناسق و... إذاً ما بها؟ لماذا تشعر أنها على وشك البكاء؟

ظهر بانو وهو يمسك قنينة من المياه المعدنية في يده: «أتريدين الماء سيدتي؟».

- نعم بانو. شكراً لك.

- وهل سينضم السيد كومنتاروس إليك؟

حدقت إليزابيث نحو باب المكتبة الذي أقفل للتو، وشعرت بثقل كبير في صدرها.

- لا، بانو. ليس اليوم.

سكب لها الخادم الماء وهو يقول: «هل آخذ له طبقاً من الطعام؟».

نظرت مجدداً نحو باب المكتبة المقفل، وقالت: «لا، لكننا سنحاول مجدداً على العشاء».

بدا الخادم متألماً وهو يسألها: «ألا أقدم له شيئاً إذا طلب ذلك؟».

- أعرف أن هذا يبدو قاسياً، لكن علي أن أجد طريقة لأصل إليه. عليه أن يتجاوب معي. لا يمكنه الاختباء إلى الأبد. إنه لايزال شاباً، وهناك الكثير من الناس الذين يحبونه ويشتاقون إليه.

بدا أن بانو فهم ذلك. أحنى رأسه الأصلع بتهذيب وقال: «سيتم تقديم غدائك فوراً».

اختفى الخادم بعد ذلك تاركاً قنينة المياه المعدنية على الطاولة.

إحدى الموظفات الأصغر سناً قدمت لها الطعام وهو عبارة عن سلطة سوفلاكي مع قطع الخيار والخبز اليوناني الساخن. هذه ليست الوجبة التي طلبت إعدادها، لكنهم على الأقل أعدوا وجبة ما. لم تبدأ إليزابيث بتناول الطعام على الفور، بل اختارت أن تعطي كريستيان بعض الوقت فلربما غيّر رأيه. وانتظرت خمس دقائق. مضت خمس دقائق أخرى أظهرت لها أن البداية ليست سهلة، لكن كل ما باستطاعتها فعله هو متابعة المحاولة والاصرار. سيتمكن كريستيان كومنتاروس من السير من جديد، وسيعود إلى أثينا ويقوم بتحمل مسؤولياته مجدداً في تلك الشركة الضخمة التي يملكها، والتي كان يديرها بمفرده في السابق. أما هي فستعود إلى إنكلترا وستتخلص من اليونان والرجال اليونانيين الجذابين.

بعد مرور خمس عشرة دقيقة استسلمت إليزابيث، ولم تعد تتوقع مجيء كريستيان. تناولت غداءها أخيراً وهي تحاول التركيز على تذوق الوجبة اللذيذة وعدم التفكير بالمواجهة التالية بينها وبين مريضها العنيد.

ما إن أنهت غداءها حتى دفعت كرسيها بعيداً عن الطاولة. حان الوقت لتفقد كريستيان.

رفع كريستيان رأسه ما إن دخلت إلى الغرفة. سألها باليونانية: «هل استمتعت بالغداء؟».

أجفلت بسبب المرارة البادية في صوته. قالت: «نعم، شكراً. لديك طباخة ماهرة».

- وهل استمتعت بالمنظر؟

- إنه رائع.

في الواقع أمضت إليزابيث معظم الوقت تفكر به بدلاً من الاستمتاع بالمنظر. لم تشعر بالتورط مع أي من مرضاها من قبل، لكنها في الواقع لم تقم بالاهتمام بمريض ما مباشرة منذ سنوات. بعد تخرجها من مدرسة التمريض عملت لثلاث سنوات في المستشفى المحلي، ثم عادت إلى الجامعة لتنال شهادة الماجيستير في إدارة الأعمال في مجال المستشفيات والإدارة الطبية، وبعد التخرج وجدت عملاً في الحال. بعد أن قامت بالكثير من الأعمال فكرت ببدء عمل خاص بها بدلاً من العمل لحساب الآخرين، لذا أنشأت مؤسستها الصغيرة وهي مركز الدرجة الأولى للرعاية. لكن حالة كريستيان كومنتاروس بدت مختلفة، إذ إنه لم يتحسن بعد الرعاية بل أخذت حالته تسوء. وذلك أمر مرفوض كلياً من قبل إليزابيث. حملت دفترها عن الطاولة الجانبية حيث تركته باكراً، وجلست على الأريكة.

- سيد كومنتاروس! أعلم أنك لا تريد ممرضة، لكنك لاتزال بحاجة لواحدة. في الواقع أنت تحتاج إلى أكثر من واحدة حتى.

- لمَ لا تحضرون جيشاً كاملاً من الممرضات؟

قال ذلك بسخرية، فأجابت إليزابيث: «سنفكر بالأمر».

فتحت دفترها المغلف بالجلد البني، ونظرت نحو الملاحظات السابقة، ثم أخذت تتكلم من جديد: «تحتاج إلى ممرض ليساعدك في الاستحمام، ومن الأفضل أن يكون رجلاً قوياً ليتمكن من حملك من الكرسي وإعادتك إليه

لأنك غير مستعد للمشي».

- أنا لا أستطيع المشي سيدة...

- آنسة هاتشت.

قالت ذلك باختصار، ثم تابعت تقول: «لو أنك تجاوبت مع معالجك الفيزيائي لاستطعت أن تسير. حاولوا جميعهم معك، لكنك كنت مهتماً بإخافتهم أكثر من اهتمامك بالتقدم».

كتبت إليزابيث ملاحظتين أخريين، ثم أقفلت قلمها وقالت: «كما أنك بحاجة يائسة إلى شخص ينظم حياتك. إن لم تكن لديك النية بالتعافي سيكون على منزلك وعاداتك أن تتغير: مصعد مناسب، حمام واسع، سكك ومقابض في بركة السباحة...».

أصبح لون وجه كريستيان داكناً وهو يصيح: «لا! لا أريد مقابض أو سككاً... لا أريد أي تغيير في المنزل».

ضغطت مؤخرة قلمها لتكتب من جديد: «ربما حان الوقت لإحضار المعالج النفسي. أنت بحاجة إلى شخص يقيّم مدى إحباطك، ويصف لك علاجاً مناسباً: أقراصاً أو ربما جلسات علاج...».

- لن أتكلم...

راحت تكتب المزيد من الملاحظات في دفترها وتحدق بكريستيان كومنتاروس من تحت جفونها. جعله الغضب يبدو أكثر وسامة وهو يشد قبضته كأنه يستعد لضرب أحدهم. وفكرت: هذا جيد! هو لم يستسلم للحياة بعد، بل استسلم فقط للعلاج. راقبته مطولاً بقلة صبر، ثم قالت: «الكلام سيساعدك على التخلص من إحباطك، فالاحباط هو ما يمنعك من متابعة العلاج».

- أنا لست محبطاً.

- إذاً، أنت تحتاج إلى من يساعدك على التخلص من غضبك، لأنك مليء بالغضب سيد كومنتاروس. ألا تلاحظ النبرة التي تتكلم بها؟

اتكأ كريستيان إلى الخلف في كرسيه، فيما وضع يديه على العجلات

وكرر: «النبرة؟ هل أتيت إلى منزلي كي تنتقدي النبرة التي أتكلم بها؟ من تظنين نفسك بحق السماء؟».

النبرة المتوحشة في صوته أزعجتها أكثر من الكلمات بحد ذاتها. للحظة شعرت أن الغرفة تدور بها. أمسكت إليزابيث أنفاسها بذهول وصمت.

أتى صوت كريستيان من خلفها، وبدا ساخراً وهو يقول: «تظنين أنك محقة وواثقة من كل شيء. لكن هل ستحلّين بالثقة نفسها لو سحب البساط من تحت قدميك؟ هل ستبقين هادئة؟».

بالطبع هو لا يعلم أن البساط سحب من تحت قدميها من قبل. لا أحد يمضي حياة هنيئة من دون أن يعاني، لكن بالرغم من معاناتها الصعبة والجروح القديمة التي تركت ندوباً في أعماق روحها، فإن ذلك كله بات جزءاً من حياتها. شعرت إليزابيث بالارتياح لأن كريستيان لا يستطيع رؤيتها كي يرى المشاعر المتناقضة التي تلوح في وجهها. خسارتها لا تعود إلى فترة قصيرة بل حدثت منذ سبع سنوات. وبالرغم من أنها تحاول التمسك بجميع دفاعاتها إلا أن الأمر يبدو كأنه قد حصل بالأمس فقط.

ساد الصمت لفترة طويلة، ثم ضحك كريستيان بصوت منخفض وقال: «تغلبت عليك في ذلك».

أصبحت ضحكته أكثر عمقاً، ثم انتهت فجأة وهو يقول: «لا يمكنك إطلاق الأحكام إلا بعد أن تعيشي ما عاشه الآخرون».

قالت بنبرة صوت قوية: «أنا هنا لأساعدك، وسأفعل ما بوسعي لأراك تتعافى وتتحسن».

- ولِمَ قد أرغب بالتعافي؟

أحنى رأسه وبدا الغضب جلياً في تعابير وجهه حين قال: «لا تعطيني ذلك الجواب اللطيف المقرف عن إيجاد الحب الحقيقي وإنشاء عائلة وكل هذه التفاهات».

التوت شفتا إليزابيث وظهرت فوقهما ابتسامة باهتة. لا! هي لا تستعمل الحب كوسيلة للتحفيز، لأن المرء قد يخسر ذلك يوماً ما.

- لا! لن أفعل. عليك أن تعلم أن ذلك ليس أسلوبي.
- إذاً، أخبريني! كوني صريحة معي. لمَ علي أن أتعافى؟
شعرت إليزابيث أن أعصابها بدأت تتأرجح بين الغضب والصبر.
- لأنك لاتزال حياً. هذا هو السبب.
ضحك كريستيان، وقال: «أهذا كل شيء؟ آسف، لم يبد الأمر مقنعاً لي».
- هذا مؤسف.
فكرت إليزابيث، ربما لن يستطيع السير بسهولة أو الرؤية بوضوح، لكنه لايزال يحظى بحياته: بقلبه وجسده وعقله. ربما لم يعد كما كان في السابق تماماً، لكن ذلك لم يجعله يصبح أقل من الرجال الآخرين... إلا أنه هو من يفعل ذلك بنفسه. هو من يسمح بحدوث ذلك.
وضعت إصبعها فوق شفتها، وفكرت أن عليها أن تمنع الغضب من السيطرة على ما ستقوله. إنه مريض، وعليها تأمين العناية الصحية له لا إعطاؤه الدروس الأخلاقية. إدراكها أنه لا يحق لها الانتقاد جعلها تشعر بالتوتر يتزايد في داخلها. وبالرغم من جهودها لم تستطع إلا أن تلاحظ محاولاته لإثارة الشفقة. شعرت بالانزعاج لأنه منشغل بتلك الأمور التافهة ولا يفكر بالأمر الأهم. الحياة هبة من الله لا حق نتمتع به، وهو لا يقدر تلك النعمة. بإمكانه أن يحب ويُحَب. ما من سبب يمنعه من جعل شخص آخر يشعر أنه مميز ومهم ولا ينسى. ما من سبب إلا أنه لا يريد ذلك.
- مهما كانت الأسباب سيد كومنتاروس، أنت لاتزال حياً. لا ترمِ تلك الهبة خلفك. عش حياتك بذكاء. إن لم تستطع فعل ذلك من أجل نفسك افعله من أجل أولئك الذين لم يستطيعوا النجاة معك يوم الحادث.
أخذت نفساً عميقاً، وتابعت تقول: «قم بذلك من أجل كوسيما وأندرياس».

٣ - فلتكن الحرب!

كوسيما وأندرياس؟!
تفاجأ كريستيان لأنها تعرف اسميهما. ذكراهما ما زالت تطارده حتى الآن لأسباب مختلفة.
تحرك في سريره فيما شعر بالألم في تلك اللحظة. في بعض الأحيان يبدو الألم أكبر من الأوقات الأخرى، وبدا حاداً جداً الليلة. لم يجعله أي شيء يشعر بالراحة. كان كريستيان يقضي عطلة الشتاء برفقة العائلة والأصدقاء في جبال الألب الفرنسية، ثم حصل الحادث...
بقي في غيبوبة لأسابيع بعد الحادث. عندما خرج منها بقي في السرير لأسبوعين إضافيين لإعطاء عموده الفقري المجال ليتعافى. أخبروه أنه محظوظ لأنه لم يصب بالشلل الدائم ولبقائه على قيد الحياة بعد ذلك الحادث المروع، لكن الرعب ملأ كريستيان. لم يفتقد لبصره أو لقوته الجسدية بل لأندرياس، فهو لم يكن أخاه الأكبر فقط بل صديقه المفضل. كان وأندرياس يحبان الرياضات الخطيرة كالتزلج والغطس والابحار. أندرياس وهو الأخ الأكبر كان شخصاً مثالياً ومحترماً، بينما أخذ كريستيان دور الأخ الطائش المتمرد. لطالما استمتع الشقيقان المتناقضا الطباع بوقتهما معاً، فكانا يعملان بحماس ويمرحان بحماس أكبر. مارسا رياضة التزلج منذ الصغر. لطالما كان والدهما ستافروس رياضياً نشيطاً، أما والدتهما الفرنسية الجميلة فمثلت فرنسا في الماضي في الألعاب الأولمبية الشتوية. لذا تعتبر الرياضة شغفاً عائلياً.
بالطبع، سبق للشقيقين أن تعرضا للمخاطر، لكن والدهما علمهما كيف يتسلقان الجبال فيدرسان أحوال الطقس ويناقشان الاحتمالات مع

الخبراء. بالرغم من حبهما للمغامرة كانا حذرين جداً في ما يخص المخاطرة، لذا تسلحا بقوة في وجه مصاعب الحياة.

لِمَ لا يكونان كذلك؟ فهما في النهاية من عائلة مشهورة وعريقة وثرية. لم يكنَ المال والفرصة المناسبة يوماً عائقاً في وجهيهما، لكنهما لم يؤمنا لهما عدم انكسار القلب والخسارة. أندرياس هو السبب في تناول كريستيان للحبوب المنومة. هو السبب في عدم قدرته على النوم...

لِمَ لم يقم بإنقاذ أخيه أولاً؟ لِمَ انتظر؟ تحرك كريستيان من جديد وهو يشعر كأن رجليه تحترقان في النار. قال الأطباء إن أعصاب رجليه وأنسجتها أخذت تتعافى، لكن الألم أخذ يتزايد. شعر كأن البرق يصعقه في أجزاء مختلفة منهما.

فتش على الطاولة المجاورة للسرير عن الأدوية، لكنه لم يجد شيئاً. لا بد أن الممرضة أخذتها من هناك. فقط لو أنه يستطيع النوم! لو يستطيع أن يسترخي، لربما تمكن من التخلص من الألم. هو يحتاج إلى شيء يلهي تفكيره عن الحادث وما حدث ذلك اليوم في «لو ميج»...

عشرة أشخاص فقط وصلوا إلى الجولة الأخيرة. أخذوا يتزلجون لأسبوع كامل، وكان ذلك اليوم ما قبل الأخير. بدت الأحوال الجوية جيدة، وأخبرهم المرشدون أن بإمكانهم التحليق، فانطلقت المروحية بهم. بعد مضي ساعتين كان ثلاثة من فريقهم أحياء فقط. عاشت كوسيما ومات أندرياس... كان بإمكانه أن ينقذ أخاه بدلاً منها. هذا هو القرار الذي يعذبه. إنه لا يحبها حتى. لم يحبها منذ أول لقاء لهما. أدرك كريستيان منذ البداية أنها فتاة سطحية تحب الحفلات والظهور في المجتمع، وبالرغم مما فعلته في السنتين التاليتين لتثبت له العكس لم يقتنع يوماً أنها تغيرت. بالطبع لم يرَ أندرياس ذلك الوجه منها يوماً. كان يرى جمالها ومرحها فقط. ربما هي جميلة وعصرية، لكن كان بإمكان أندرياس أن يختار فتاة أفضل.

أخذ كريستيان يبحث من جديد على الطاولة بجانب السرير ليجد الدواء الذي يريحه من عذابه، ثم انقلب على بطنه ليفتش في الأدراج لعل علبة الدواء

موضوعة هناك، لكنه لم يجدها. تذكر أنه وضع العلبة في فراشه، وبينما أخذ يبحث هناك فتح باب غرفته. ثم سمع صوت إنارة الضوء. إنها كراتشيت العجوز تقوم بجولتها المسائية.

- ألا تزال صاحياً؟

- هل تفتقدين الروتين الذي تقومين به في المستشفى؟

انقلب كريستيان على ظهره، ثم حاول الجلوس في السرير.

اقتربت إليزابيث من السرير، وقالت: «لم أعمل في مستشفى منذ سنوات. شركتي متخصصة في العلاجات الخاصة في المنازل».

استمع لخطوات قدميها ليحاول تقدير عمرها. إنه يلعب هذه اللعبة مع جميع الممرضات. بما أنه لا يرى حاول أن يخلق صورة خاصة لهن. فيما استمع إلى صوت إليزابيث ووقع قدميها بدأ يرسم صورة عنها: إنها... في الثلاثين... ربما أقرب إلى الأربعين؟ أتراها سمراء أم شقراء؟ أتملك شعراً أحمر أم أسود؟

انحنت إليزابيث فوق السرير، فشعر بدفئها وشمّ رائحة عطرها الخفيف النقي. إنه العطر نفسه الذي شمّه في النهار. إنه يذكره بالـ... إنه العشب، نعم. رائحة العشب الأخضر النقي مع أشعة الشمس والمطر.

سألته فيما بدا مصدر صوتها قريباً جداً: «هل أنت عاجز عن النوم؟».

- أنا دائماً عاجز عن النوم.

- أبسبب الألم؟

- أشعر كأن قدمي تحترقان.

- أنت بحاجة إلى استخدامهما. عليك أن تمرنهما. هذا سيساعد على تحريك دورتهما الدموية ويخلصك من معظم الألم الذي تعاني منه.

إنها تملك صوتاً رقيقاً بالنسبة لامرأة غليظة. صوتها أشبه بصوت الكمان الناعم..

-تبدين واثقة من نفسك.

قال ذلك وهو يسمع حركتها، ويشعر بقربها منه.

- إنه عملي. أخبرني سيد كومنتاروس، ما الذي تفعله... بالإضافة إلى رمي نفسك من المرتفعات الشاهقة؟

- أنت لا تحبين التزلج الخطير. أليس كذلك؟

شعرت إليزابيث بصدرها ينقبض. التزلج الخطير والقفز من المرتفعات وتسلق الشواهق الصخرية. إنها أمور سخيفة!.

- لا. أنا لا أوافق على تعريض حياتنا للخطر في الرياضة.

- لكن الرياضة تمرين. أليس هذا ما تطلبين مني القيام به؟

نظرت نزولاً نحوه وهي تعلم أنه يحاول التغلب عليها مرة أخرى. أدركت أن هذه مجرد لعبة له تماماً مثل الرياضة. ذلك مصدر تسلية بالنسبة له يجعله ينسى عواقب الحادث الذي تعرض له.

- سيد كومنتاروس، هناك العديد من التمارين التي لا تعرض حياتنا للخطر ولا تكلفنا الكثير من المال.

- هذا ممتع. امرأة انكليزية تحب أن تبدي رأيها في كل شيء.

لم تعطِ إليزابيث اهتماماً لاستفزازه. ربما استطاع التغلب على الممرضات الأخريات لكنه لن ينجح في تعذيبها.

- وساداتك...

أصبح صوتها قوياً ما إن اقتربت نحوه.

اعتقدت أنها حذرته بكلمتها تلك عن نيتها في الاقتراب لتعديل وضعية وساداته، لكن ما إن أصبحت قريبة منه حتى اقترب أكثر، وشبك يده في شعرها. تراجعت إليزابيث بسرعة وهي تشعر بالدهشة. سمعت من قبل أنه رجل لعوب، لكنها لم تتوقع أن يحاول تطبيق ذلك معها أيضاً. قالت محاولة تحاشي التكلم عن الموضوع بتلك الطريقة الواضحة: «بما أنك لا تستطيع أن تراني لم تدرك أنني قريبة منك. في المرة المقبلة سوف أطلب منك أن تبقى في مكانك كي أستطيع تعديل وضعية وساداتك».

- إنه شعرك فقط... لامس شعرك وجهي فحاولت إبعاده عني

- سأتكاد من ربطه إلى الخلف في الغد.

- شعرك طويل جداً.

لا تريد إليزابيث الخوض في أحاديث شخصية معه. منذ البداية هي لا تشعر بالارتياح لفكرة العودة إلى اليونان، فما بالك وهي معزولة هنا في قلعة قديمة في تايغتوس؟

- اعتقدت أن شعركن جميعكن قصير ومجعد أو مربوط على شكل كعكة. تبدين كامرأة تثبت شعرها إلى الخلف بشكل دائم.

هو لا يزال يحاول النيل منها. إنه يحاول الحصول على ردة فعل. قالت له: «نعم. أنا أحب رفع شعري على شكل كعكة. إنه يعطي مظهراً محترفاً».

سخر كريستيان منها قائلاً: «وأنت محترفة جداً!».

أجفلت إليزابيث، وشعرت كأن صخرة جليدية تسقط في بطنها. زوجها السابق كان رجلاً لعوباً أيضاً، وقد جعلها تعاني مدة عامين قبل أن يمنحها الطلاق، وها هي تحاول أن تتعافى منذ خمس سنوات. سبق أن كسر قلبها رجل يوناني لعوب، ولن تسمح لواحد آخر أن يسحق روحها الآن. رفعت كتفيها وقالت: «حسناً، سيد كومنتاروس! سأقول لك عمت مساءً».

وقبل أن يتمكن من الكلام غادرت الغرفة، وأغلقت الباب خلفها. لكن سيطرتها على نفسها تلاشت حين وصلت إلى الممر بين الغرف. ألقت يدها على الحائط لتحاول استعادة هدوئها. لن تستطيع القيام بهذا... لن تستطيع البقاء هنا والعيش بهذه الطريقة. إنها تكره الرجال اليونانيين الفاسدين لاسيما هؤلاء الأثرياء الذين يملكون الكثير من الوقت للاستمتاع.

بعد طلاقها عاهدت نفسها بألا تعود إلى اليونان، لكنها هنا مجدداً، وليس في أي مكان من اليونان بل في منزل يعود إلى القرون الوسطى مع كريستيان كومنتاروس الفاحش الثراء والبالغ الوسامة.

سيتكرر هذا الأمر في الغد أيضاً. لذا هي تفقد السيطرة على كومنتاروس منذ الآن. لا تستطيع المتابعة بهذه الطريقة. مريضها لم يحترمها. لم يكن يستمع إليها حتى. بدا مرتاحاً جداً لدرجة أنه أخذ يسخر منها. كيف

يحدث هذا؟ من المفترض أن تكون هي المسيطرة على الوضع.

قالت لنفسها بحزم وهي عائدة إلى الغرفة التي جهزتها لها مدبرة المنزل إنها ستفعل ذلك غداً. غداً ستثبت له أنها هي المسؤولة هنا.

كان هذا اليوم دافئاً، وبالرغم من أن الليل حلّ الآن لكن الدفء لايزال مسيطراً. بدت غرفتها تماماً كالغرف الأخرى في البرج، عالية السقف يصل ارتفاعها إلى عشر أو إحدى عشرة قدماً، وقد زينت باللوحات الجميلة.

مشت عبر الغرفة، وفتحت النافذة لتسمح للنسيم العليل بدخول الغرفة. بدت النوافذ الثلاثة في غرفتها مطلة على الحديقة التي تسبح الآن في ضوء القمر وخلفها يمتد الوادي. بدا المكان جميلاً هنا مع الهياكل الأثرية المنتشرة بين الصخور والتلال والأشجار. لكنه مكان خطر في الوقت نفسه.

أمسكت إليزابيث شعرها وهي جالسة خلف الطاولة الرخامية، ثم مررت المشط بين خصلاته كي تربطه في عقدة على قمة رأسها. حدقت في المرآة الفضية وهي تمرر المشط في شعرها، فرأت انعكاس صورتها. بدت عيناها باهتتين ووجهها بيضاوياً ذا ذقن قوي. ابتسمت إليزابيث وهي تتذكر الأيام الماضية عندما كانت تتمتع بأسلوب حياة مريح. فقد كانت شقراء أكثر مما تبدو الآن، كما كانت أرق وأجمل. لكنها تخلت عن مظهر الفتاة الشقراء بالإضافة إلى مصففي الشعر النيويوركيين واللندنيين. لم تعد تملك أي شيء رفيع الذوق، فأسلوب الحياة الذي كانت تعيشه اختفى الآن.

عندما نظرت مجدداً نحو المرآة ورأت الاشتعال في عينيها عرفت أنها لم تنسَ بعد. مهنة التمريض بدت مهرباً سهلاً لها، فقد أمنت لها روتيناً منظماً وأعطتها نوعاً من السيطرة على حياتها. وبالرغم من أن ذلك لم يكن أمراً آمناً بحد ذاته، لكن اندماجها في الحياة العملية وتأسيس شركة خاصة أصبحا أمراً مشجعاً أكثر. تمكنت من إدارة أعمالها بشكل ممتاز، وهي تتمنى الآن أن تتمكن من إدارة علاقتها بكريستيان في الغد كما ترغب أيضاً.

في صباح اليوم التالي استيقظت إليزابيث باكراً، واستعدت للعمل. لكن

حتى عند الساعة السابعة صباحاً كانت الفيلا لا تزال معتمة، باستثناء بعض الأضواء في المطبخ. فكرت أن الحياة ستدب قريباً في أرجاء الفيلا. ارتدت قميصاً زرقاء تتلاءم مع التنورة الزرقاء الطويلة، وهي تعتقد أنه زي مناسب للممرضات، ثم اتجهت نحو المطبخ لتسأل عن الفطور. بدا الأمر مفاجئاً للطباخة التي ظهر عليها القلق والارتباك. طمأنتها إليزابيث أن كل ما تريده هو فنجان قهوة وسندويشاً صغيراً. حضرت لها الطباخة قهوة يونانية وفطيرة من الجبن. بعدئذٍ ذهبت إليزابيث لمقابلة بانو. عرفت منه أن كريستيان ينام حتى وقت متأخر، ثم يقدمون له القهوة في السرير قبل أن يتجه إلى المكتبة حيث يمضي نهاره.

- ألا يفعل شيئاً؟

حرك بانو كتفيه: «الأمر صعب عليه».

ثم تنهد بثقل. تقدمت الفتاة نفسها التي قدمت الغداء بالأمس من إليزابيث لتقدم لها القهوة الساخنة، فيما تابع بانو يقول: «استطاع الرؤية قليلاً في البداية، فكان يرى بعض الظلال والأضواء، لكن شيئاً ما حدث لاحقاً بسبب العمليات الجراحية المتكررة، وهو الآن كما رأيته، أعمى لا يرى شيئاً».

علمت إليزابيث أن فقدان بصره كلياً بدا أمراً مروعاً بالنسبة له.

هز بانو كتفيه، وقال: «قرأت في أوراقه أن هناك احتمالاً بأن يرى من جديد إن جرب علاجاً آخر، لكن نظره سيكون محدوداً».

ألحّت إليزابيث قائلة: «ولمَ لا يقوم بذلك؟».

تغضن جبينه وهو يجيب: «أعتقد أنه خائف. هذا أمله الأخير».

لم تقل إليزابيث شيئاً، فيما رفع بانو يديه لجعلها تتفهم: «كلما أجّل العملية كلما بقي لديه أمل بأنه قد يرى مجدداً، لكن إذا أجرى العملية ولم تنجح... عندها لن يبقى أمامه ما يأمل به».

وبالفعل، تفهمت إليزابيث ذلك.

ولكن مع مرور الساعات وانتهاء فترة الصباح بدأت تصبح أقل

تعاطفاً. ذهبت إلى غرفته قبل أن تصبح الساعة الثانية عشرة ظهراً. كان لايزال نائماً بين الأغطية البيضاء، بحيث لا يظهر منه سوى شعره الأسود.

ذهبت إليزابيث للبحث عن بانو مجدداً لتسأله عن كريستيان.

- هل يتأخر كريستيان في النوم عادة هكذا؟

- الوقت الآن ليس متأخراً بالنسبة إليه، فهو ينام حتى الواحدة أو الثانية بعد الظهر.

لم تستطع أن تخفي تفاجؤها، فقالت: «وهل كانت الممرضات السابقات يسمحن له بذلك؟».

التمع رأس بانو الأصلع في الضوء وهو يرتب الأوراق، ثم قال: «لم تستطع الممرضات السيطرة عليه. إنه رجل، وهو يفعل ما يريد فعله».

- لا! ليس عندما تكون كلفة العناية الصحية به آلاف الباوندات كل شهر.

نظر بانو نحوها وقال: «لا يمكنك أن تقولي لرجل راشد ما عليه فعله».

جاء صوتها خشناً وهي تقول: «بل يمكنني ذلك إن كان ما يقوم به مدمراً».

لم يجبها بانو. حدقت إليزابيث إلى ساعة المكتبة الكبيرة، ورأت أنها أصبحت الواحدة إلا خمس دقائق. استدارت وتوجهت مجدداً إلى غرفة نوم كريستيان. ما وجدته هناك على الطاولة المجاورة للسرير فتر لها سبب النوم الطويل والعميق. تناول كريستيان دواءً منوماً. لم تعلم كم حبة تناول أو متى تناولها، لكن العلبة لم تكن هناك حين تفقدت المكان مساء الأمس. لقد جمعت كل علب المسكنات ووضعتها في غرفتها، كي لا يستطيع الحصول عليها. لكن وجود هذه العلبة يعني أن لديه مخبأ سرياً يضع فيه الدواء كي يتناوله متى يشاء.

نادته إليزابيث باسمه كي توقظه، لكنه لم يتجاوب. نادته باسمه مجدداً: «سيد كومتناروس! أصبح الوقت متأخراً. حان وقت النهوض».

لا جواب...!

اقتربت من سريره، وقالت بصوت مرتفع أكثر: «إنه الظهر الآن سيد كومتناروس. عليك أن تستيقظ. لا يمكنك أن تبقى نائماً طوال النهار».

لم يتحرك كريستيان، لكنه لم يكن ميتاً. أمكنها أن ترى ذلك بوضوح. إنه يتنفس، لكنه بالتأكيد لا يريد الاستيقاظ.

سعلت لتتقي حنجرتها، ثم صاحت بأعلى صوتها: «سيد كومتناروس... حان وقت النهوض».

سمعها كريستيان تناديه. بدا كأنها تحمل مكبراً للصوت، لكنه لا يريد الاستيقاظ. يريد أن ينام... إنه يحتاج إلى النوم... يريد الاستمتاع بالنوم في العتمة والهدوء والسلام... لكن الصوت لم يتوقف، بل أصبح مرتفعاً أكثر... وأكثر.

شعر الآن أن أحدهم يسحب الغطاء من فوقه.

- ارحلي من هنا!

- أصبح الوقت بعد الظهر، سيد كومتناروس. حان وقت النهوض. ستبدأ جلسة العلاج الفيزيائي الأولى بعد أقل من ساعة.

تذكر كريستيان أنه لا يتعامل مع ممرضة عجوز بل إنها الممرضة السابعة، الممرضة الجديدة الانكليزية التي أرسلت لتحويل حياته إلى جحيم.

استدار لينام على بطنه، ثم قال: «من غير المسموح لك أن توقظيني».

- بل يحق لي. تأخر الوقت، ولا يمكنك أن تبقى نائماً طوال النهار.

- لِمَ لا؟ بقيت مستيقظاً طيلة الليل.

- قلت لك إن جلسة العلاج الفيزيائي الأولى ستبدأ بعد أقل من ساعة.

- أنت مجنونة.

- لست مجنونة بل مستعدة لإعادتك إلى العلاج كي تلتزم من جديد ببرنامج التمارين.

- لا!

لم تتعب إليزابيث نفسها في النقاش. ما من جدوى في ذلك.

- بانو قادم، وهو يحمل لك الفطور. قلت له إنك ستأكل في غرفة الطعام كأي رجل متحضر، لكنه أصر أن يقدم لك الطعام في السرير.

- رجل صالح!

قال كريستيان ذلك من بين أنفاسه.

- لكن هذه هي المرة الأخيرة التي ستتناول فيها الطعام في السرير. أنت لست عاجزاً ولست أميراً. بإمكانك أن تأكل خلف الطاولة مثلنا كلنا.

أمسكت كرسيه المتحرك وقربته من السرير.

- كرسيك هنا في حال احتجت إليه. أنا سأعود بعد لحظات. علي أن أعد بعض الأشياء.

بعد ذلك أخذت علبة الدواء واتجهت نحو الحمام التابع لغرفة نومه. فتحت أدراج الخزائن قبل أن تعود إليه مجدداً وقد وجدت علبة دواء أخرى.

سألها كريستيان وهو يجلس ويستمع إليها وهي تفتح الأدراج وأبواب الخزائن: «ماذا تفعلين؟».

- أبحث عن الأماكن السرية الأخرى.

- الأماكن السرية... لتخبئة ماذا؟

- تعرف تماماً ماذا أقصد.

- لو أنني أعرف لما سألتك.

وجدت علبة أخرى في الدرج الأول خلف أحزمته. سألته: «ما هي الكمية التي تتناولها؟».

- آخذ القليل فقط...

- إذاً لماذا يوجد من العلب ما يكفي صيدلية بكاملها؟

جاء دوره ليصمت الآن. عبرت إليزابيث عن غضبها وهي تنهي التفتيش في غرفته. لم تجد علباً أخرى. هذا جيد!

سألها بينما مشت عبر الأبواب لتتوجه نحو الخارج: «والآن ماذا؟».

- أنا أنهي عملي فقط.

تركت الأبواب مفتوحة، ثم اتجهت عبر الفناء المنار بأشعة الشمس نحو البركة والنافورة.

صرخ كريستيان بغضب: «هذه لي».

- لم تعد كذلك.

- لا أستطيع النوم من دونها...

- بإمكانك ذلك إن حصلت على ما يكفي من الهواء النظيف والتمارين.

كانت إليزابيث تمشي بسرعة، لكنها تمكنت من سماع كريستيان وهو ينتقل من السرير إلى كرسيه المتحرك.

- أرجوك... انتظري لحظة واحدة.

فعلت إليزابيث ذلك فقط لأنها المرة الأولى التي تسمعه فيها يقول «أرجوك». وبينما توقفت سمعت كريستيان يصطدم بالباب قبل أن يتراجع ليحاول المرور عبره من جديد. نجح في ذلك هذه المرة. اندفع بحركة ثقيلة نحو الخارج، وكرسيه يتحرك بصعوبة فوق الأرض الحجرية.

تحركت إليزابيث مجدداً، ثم قالت: «انتظرتك، لكنني لن أسلمها لك من جديد. إنها تؤذيك. إنها مضرة جداً لك».

كان كريستيان يحاول الوصول إليها عندما أصبحت بقرب النافورة. عندها فتحت علب الدواء والتفتت نحوه. بدا مفترساً بشعره الأسود ووجهه ذي الندوب العميقة، قالت وهي تحاول أن تبطئ دقات قلبها المتسارعة بسبب خوفها من فقدان السيطرة من جديد: «كل ما تضعه في جسمك وكل ما تفعله به هو من ضمن مسؤولياتي».

بعد ذلك قامت بإفراغ محتوى العلب في البركة، فأحدثت حبوب الدواء صوتاً مرتفعاً لم يستطع كريستيان إلا أن ينتبه له.

- لقد فعلتها!!

- نعم. فعلتها.

ظهر خط واضح بين حاجبيه ووجنتيه، ثم قال: «أنا أعلن الحرب إذاً».

ارتفعت زاوية فمه لتظهر ابتسامة داكنة، فيما تابع يقول: «الحرب.

www.elromancia.com

الحرب ضد شركتك والحرب ضدك شخصياً».

انخفض صوته، لكنه أصبح أكثر عمقاً وهو يقول: «ستندمين لأنك أتيت إلى هنا يوماً. أنا متأكد أن ذلك سيكون قريباً جداً سيدة هانشت».

٤ - لن تخيفني!

دق قلب إليزابيث بقوة لدرجة شعرت معها أنه سيقفز من صدرها.

إنه تهديد... وليس أي تهديد. فقد جعلها تشعر كأن قدميها لم تعودا تحملانها.

للحظة طويلة لم تعرف بما ستفكر أو ما ستفعل. زادت سرعة دقات قلبها، وشعرت بالخوف والذعر. لكنها فجأة استعادت تركيزها، هي لن تدع أي رجل يقوم بتهديدها وإخافتها فما بالك برجل مثل كريستيان. هي أيضاً أتت من عائلة عريقة وتملك بعض القوة مثل عائلة كومنتاروس، لكنها لا تتحدث عن تاريخها ولا تريد أن يعرف أحد بشأنها.

- أمن المفترض أن أشعر بالخوف، سيد كومنتاروس؟

وضعت علب الدواء في جيب تنورتها، وتابعت تقول: «عليك أن تعلم أنك لست خصماً مخيفاً».

استعادت قوتها وشجاعتها، ثم تابعت ببرودة: «أنت بالكاد تمشي، ولا يمكنك أن ترى، كما أنك تعتمد على الآخرين ليعتنوا بك. لذا لِمَ على أن أشعر بالخوف؟ ما هو أسوأ ما يمكنك القيام به؟ أن تقوم بشتمي».

ألقى ظهره إلى الخلف في كرسيه، قال: «لا أعرف إن كان علي أن أقدر شجاعتك أم أشفق على سذاجتك».

فكرت إليزابيث وهي تتنهد بعمق: لم يبدأ اليوم بشكل جيد، وها هو يتجه نحو الأسوأ. كل أمر بالنسبة له عبارة عن معركة. لو أنه ركز نصف ذكائه على الشفاء بدلاً من الجلوس في كرسيه والنحيب كرجل كهف مجروح.

- الشفقة؟ لا تشفق علي. أنت الذي لم تعمل منذ عام. أنت من يحتاج

www.elromancia.com

إلى أشخاص آخرين ليديروا لك أعمالك وحياتك الشخصية.

- أنت تتكلمين بجرأة كبيرة.

- أنا أقول الحقيقة فحسب. لو أنك حقاً كما يصفك أصدقاؤك لما اختبأت هنا تبكي جراحك.

- أبكي جراحي؟

- أعرف أن ثمانية أشخاص ماتوا ذلك اليوم في فرنسا، وأن واحداً منهم هو أخوك. أعرف أنك حاولت إنقاذه، وأنك أصبت لأنك عدت إلى الطائرة من أجله. لكنك لن تعيده إلى الحياة بقتل نفسك...

توقفت إليزابيث عن الكلام عندما أمسكها كريستيان من معصمها. حاولت أن تفلت من قبضته، لكنه لم يسمح لها. قالت بحزم وغضب وهي تحاول التخلص من قبضته: «يجب ألا يحدث اتصال شخصي بيننا سيد كومنتاروس. هناك قوانين واضحة ومحددة في ما يخص علاقة المريض بممرضته».

ضحك كريستيان وكأنها أخبرته نكتة للتو، لكنه ترك يدها وقال: «لا أعتقد أن ممرضة متمرنة بجدارة كاليستا قرأت هذه المذكرة».

نظرت نحو معصمها حيث بدأت تشعر بالاحتراق لتتفقد وجود علامة ما من قبضته، لكنها لم تجد شيئاً.

- إنها ليست مذكرة بل مبادئ أخلاقية. كل ممرضة تعرف الحدود التي عليها ألا تتخطاها.

- ربما عليك أن تشرحي ذلك لكاليستا لأنها توسلتني أن أقيم علاقة معها، لكنها بعد ذلك طلبت مني المال. هذا أمر محيّر بالنسبة للمريض. صدقيني!

بدت الشمس قريبة جداً والحرارة تخرج من الحجارة في الشرفة، مع ذلك شعرت إليزابيث بالبرد يتخلل عظامها.

- ما الذي تقصده بقولك إنها... طلبت منك المال؟

- لاشك أن فرع إنكلترا كان له نصيبه من الابتزاز.

- أنت تحاول رفع المسؤولية عنك واتهام غيرك.

نظرت حولها بسرعة كي تحاول التخلص من ذعرها، فقد شعرت بالذعر لسماع أن كاليستا حاولت ابتزاز السيد كومنتاروس أحد أشهر الرجال اليونانيين. آه! كم هذا سيء. هذا سيء جداً...

هزّ كريستيان كتفيه، ثم قال: «كما قلت بنفسك كراتشيت، كاليستا لاتزال في الثالثة والعشرين من عمرها... إنها صغيرة جداً. ربما لم تدرك أن إغراء المريض وطلب المال منه أمر غير أخلاقي. ربما لم تدرك أن القيام بابتزازي يجعل المؤسسة عرضة للملاحقة القانونية».

جعل هذا الكلام قدمي إليزابيث ترتجفان. سبق لها أن تعاملت مع العديد من المشاكل من قبل عبر السنوات الماضية. بعض هذه المشاكل اضطرتها للسفر من مكان إلى آخر، لكنها لم تواجه من قبل مشكلة مماثلة.

- أنت تمثلين مركز الدرجة الأولى للرعاية. أليس كذلك آنسة هاتشت؟ أنت صاحبة الشركة.

لم تستطع إليزابيث الكلام. جف حلقها، وتسارعت دقات قلبها.

- لقد قمت ببعض الأبحاث آنسة هاتشت.

همست وهي تحاول إبعاد خصلة شعر عن وجهها: «تركت كاليستا العمل منذ أشهر طويلة. لِمَ لم تخبرني بالأمر؟ لِمَ انتظرت هذه الفترة الطويلة لتخبرني؟».

التوى فمه وهبطت رموشه، ما أظهر لون عينيه الزرقاوين.

- قررت أن أنتظر لأرى إن كان مستوى أدائكم سيتغير. لم أعرف...

ارتفع صوتها، وقالت: «رفضت أن تتعاون معنا!».

- أنا رجل في السادسة والثلاثين ورئيس إحدى المؤسسات العالمية. لست معتاداً على الاعتماد على أحد... فما الذي سأقوله عن فتاة شابة. بالإضافة إلى أنني كنت قد فقدت أخي للتو وأربعة من أعز أصدقائي وقريبي وصديقته وصديقتها المفضلة.

أخذ صوته يرتجف بغضب، فيما تابع يقول: «كانت لدي أمور كثيرة

لأتعايش معها».

- لهذا السبب كنا نحاول مساعدتك.

- بإرسالك لي فتاة في الثالثة والعشرين عملت في السابق راقصة استعراضية؟

- هذا ليس صحيحاً...

- بلى، وقد ظهرت بثياب فاضحة في مجلات مختلفة. بالطبع أنا لم أرها يوماً، لكنها ظلت تتكلم عن ذلك وعن مدى إعجاب الرجال بها...

أخذت إليزابيث ترتجف. إنه فعلاً موقف سيء وهو يزداد سوءاً.

- سيد كومنتاروس...!

لم يتوقف كريستيان عن الكلام، بل تابع قائلاً: «هل قلت إنك تقومين بتوظيف الممرضات وتدريبهن بنفسك؟ هل قلت إنك تطلبين التقارير وتقومين بإجراء المقابلات؟».

- نعم. في البداية كنت أقوم بذلك بمفردي. أنا لا أزال أقوم بمقابلة طالبي العمل في فرع إنكلترا.

- لكنك لا تقومين بمراقبة كل شخص يترشح للوظيفة؟ ما عدت تنظرين إلى تاريخ الممرضات بنفسك. أليس كذلك؟

سيطر التوتر عليها، وتصلبت جميع عضلاتها، وقالت: «لا».

صمت كريستيان كأنه يحاول تفحصها، ثم قال: «لكن المعلومات حول شركتك تقول العكس».

عضت إليزابيث شفتها مدركة أنه أوقع بها.

- ازدهرت أعمال المؤسسة كثيراً السنة الماضية، وزادت المسؤوليات، ولم أعد أستطيع متابعة كل الأمور بمفردي.

- أرأيتِ من يختلق الأعذار الآن؟

زحفت الدماء إلى وجنتي إليزابيث ما جعلها تشعر بحرارة لا تطاق في وجهها. فكرت أنها تستحق ذلك.

- لدي مكاتب في عدة مدن بما فيها أثينا، وأنا أوظف مئات النساء في

أوروبا. لقد استعلمت عنهن كلهن تقريباً.

سخر منها قائلاً: «تقريباً؟ ألا يجدر بمركز الدرجة الأولى للرعاية أن يؤمن اهتماماً من الدرجة الأولى؟».

لم تعلم إليزابيث بماذا تجيبه.

- سأكون سعيدة إن قمت بإعادة التأكيد على شعار مؤسستنا.

- أنا واثق من ذلك. حالما تنتهين من تقديم نوعية العناية التي أحتاجها وأستحقها أيضاً.

كتفت يديها فوق صدرها وهي ترتجف، فيما شعرت بالخوف ينتابها. سألته: «هل هذا يعني أنك ستعمل بجهد خلال جلسة العلاج الفيزيائي بعد الظهر؟».

تكلمت بهدوء حتى بدا كأنها تهمس له همساً.

- لا. بل هذا يعني أنك ستعملين معي.

تحرك في كرسيه إلى الأمام بهدوء ليعود إلى الغرفة وهو يقول: «أتخيل أنها الساعة الواحدة الآن، ما يعني أن الغداء سيقدم بعد ساعة. سألقاك عند الغداء وسنناقش أفكاري حول العلاج».

أمضت إليزابيث الساعة التالية في حالة توتر مرتفعة وهي تحاول أن تقبل ولو جزء من المحادثة التي أجرتها مع كرستيان على الشرفة. لم تستطع أن تصدق أن كل ما فكرت به وكل ما عرفته غير صحيح وخاطئ. طلبت من كاليستا السفر إلى لندن من أجل المقابلة الأخيرة، وتكفلت بتكاليف الرحلة. أعجبت إليزابيث بكاليستا على الفور، فقد بدت حيوية ومليئة بالطاقة ومتفانية في مهنتها. من المستحيل أن تصدق أنها كانت يوماً راقصة استعراضية أو عارضة أزياء تظهر صورها على المجلات. هذا مستحيل! بالإضافة إلى ذلك، لا يمكن لكاليستا أن تقوم بإغواء رجل مثل كريستيان كومنتاروس، فهي فتاة يونانية مهذبة تربت في بيراوس مع جدتها وعمتها العانس. إنها تتمتع بقيم عائلية متينة، لكنها لا تملك الكثير من المال.

أغمضت إليزابيث عينيها، وهزت رأسها وهي غير قادرة على تصديق

www.elromancia.com

ذلك. إذاً لا تصدقي! قالت لنفسها، ثم فتحت عينيها وتوجهت إلى غرفتها لتغسل وجهها بالمياه الباردة.

فيما مشت عبر ممرات البرج لتصل إلى غرفتها همس لها صوت منخفض يقول: «ألم تتزوجي برجل مثل ريكو لأنك فقط تريدين أن تري الوجه الجيد من الناس؟».

بعد مضي خمسة وأربعين دقيقة عادت إليزابيث إلى الطابق السفلي لتمشي نحو الشرفة حيث تناولت غداءً متأخراً بالأمس. اكتشفت أن كريستيان سبقها إلى المكان وهو يستمتع بقهوته. تذكرت قهوتها الصباحية، ثم كشرت. لطالما فكرت أن طعم القهوة اليونانية أو ما يسمى القهوة التركية يبدو كالوحل.

رفع كريستيان رأسه حين سمع وقع قدميها ونظر باتجاهها، فعلقت أنفاسها في حلقها.

كان قد حلق ذقنه ومشط شعره الأسود. بدا اللون الأزرق في عينيه مذهلاً فيما التفت ليعطيها اهتمامه. عدم قدرته على الرؤية جعلت عينيه أجمل، لأنه مضطر إلى التركيز كي يستطيع سماع حركتها.

جلست إليزابيث وهي تشعر فجأة بالخجل، لكن بدا صوتها قوياً حين قالت: «مرحباً! تبدو وسيماً».

- الحلاقة تغيّر الطلة.

إنها ليست الحلاقة فقط. فكرت إليزابيث بذلك. إنها تعابير الحذر على وجهه والشعور بأنه موجود هناك عقلياً وجسدياً وهو يوجه انتباهه لها. قالت وهي تحاول بيأس أن تبدأ من جديد معه بطريقة مختلفة: «أنا آسفة بشأن مشكلة التواصل. أفهم أنك غاضب جداً، وأريدك أن تعرف أنني متشوقة لجعل الأمور تصبح أفضل حالاً...».

- أنت خائفة من أن أدمر شركتك. سيكون من السهل علي القيام بذلك، وخلال شهر ستضطرين للرحيل.

لم تكن هناك غيوم في السماء، لكن النهار بدا فجأة داكناً.

- سيد كومتاروس...!

- بما أننا سنضطر إلى العمل معاً بشكل مكثف، أعتقد أن الوقت حان لتوضيح مسألة الأسماء.

راقبته إليزابيث بحذر. إنه يذكرها في تلك اللحظة بحيوان مفترس خطير لا يمكن توقع حركاته.

- ذلك أمر صعب.

- لماذا؟

تساءلت إن كان عليها أن تكون صادقة معه، وإن كان هذا هو الوقت المناسب لإثارة إعجابه كي تربح في معركة المجاملة الكاذبة. لكنها فضلت عدم فعل ذلك. إنها تفضل التصرف بصدق وستبقى كذلك.

- اسم كريستيان لا يناسبك أبداً، فهو يعني التشبه بالمسيح وأنت لا تشبهه أبداً.

توقعت إليزابيث أن يجيبها بغضب، لكنه بدلاً من ذلك ابتسم ابتسامة باهتة وأخذ ينقر بأصابعه على حافة كوبه، ثم قال: «قالت والدتي مرة إنها أعطتنا أسماءً خاطئة. قالت إن أخي الكبير أندرياس كان عليه الحصول على اسمي وإنني كنت لأفلح أكثر لو حملت اسمه أو اسم أندرو وهو يعني باليونانية...».

أكملت إليزابيث الجملة عنه قائلة: «قوي وشجاع».

ارتفع رأس كريستيان وكأنه يراها، لكنها علمت أنه لا يستطع رؤيتها، وشعرت ببعض الألم عنه.

- لاحظت أنك تتقنين اليونانية، وهذا غير مألوف بالنسبة لخلفيتك.

إنه لا يعرف خلفيتها، وهو لا يعرف شيئاً عنها. لكن لم يكن هذا الوقت المناسب لتصحيح خطئه.

- إذاً أنت القوي وأخوك الملاك؟

- إنه ميت وأنا حي.

بالرغم من أن إليزابيث أرادت أن تحافظ على السلام بينهما لم تستطع إلا

www.elromancia.com

أن تفكر أن كريستيان لا يشبه أبداً الملاك.

- قلت منذ قليل إنك مستعد للبدء بالعلاج، لكنك تريد أن تكون المسؤول عن تحديد برنامج إعادة التأهيل.

- هذا صحيح. أنت هنا كي تساعديني في تحقيق أهدافي.

- عظيم! أنا متشوقة لمساعدتك.

جلست إليزابيث ووضعت رجلاً فوق الأخرى، ثم وضعت يديها في حضنها، وتابعت تقول: «ما الذي تريدني أن أقوم به؟».

- كل ما يجب إنجازه.

فتحت إليزابيث فمها ثم أغلقته. قالت عندما استعادت صوتها: «هذا غير واضح».

- أنا سأقول لك متى يبدأ يومنا ومتى ينتهي وما الذي سنفعله خلال هذا الوقت.

- ماذا عن التمارين الحقيقية؟

- أنا سأهتم بذلك.

شعرت إليزابيث بألم في رأسها، ولم تعد تستطع التفكير بوضوح. لكن سرعان ما استعادت تفكيرها المنطقي، فقالت: «سيد كومنتاروس! قد تكون مديراً ممتازاً وقادراً على جني ملايين الدولارات، لكن هذا لا يعني أنك تعرف المبادئ الأساسية للعلاج الفيزيائي».

- أيتها الممرضة هاتشت، أنا لم أمشِ لأنني لم أكن أريد ذلك. الأمر بهذه البساطة.

يا إلهي كم هو متعجرف! لديه ثقة زائدة بالنفس.

- وهل أصبحت تريد المشي الآن؟

- نعم.

استلقت بضعف إلى الخلف في كرسيها وحدقت به. لقد بدأ كريستيان يتغير أمام عينيها.

ظهر بانو ومدبرة المنزل مع الطعام، لكن كريستيان لم يعطهما أي

اهتمام.

- أنت من أخبرتني أن علي التفكير إلى الأمام كراتشيت، وأنت محقة تماماً. حان الوقت للتقدم وللوقوف على قدمي من جديد.

راقبت الأطباق العديدة التي وضعت على الطاولة أمامهما؛ الكثير من الخلطات كالباذنجان المهروس واللبن والخيار والثوم والجبن. رأت أيضاً طبقاً من الكفتة والدولماد والتسيروس. بدت رائحتها كلها زكية. قد لا تحب إليزابيث القهوة اليونانية، إلّا أنها تعشق الأكل اليوناني، لكنها الآن تشعر بأن من المستحيل أن تأكل أي شيء.

سألته قائلة: «ومتى تنوي البدأ بالبرنامج؟».

- اليوم. مباشرة بعد الغداء.

جلس كريستيان بصمت بينما حرك بانو الأطباق أمامه، وشرح له أين وضع كل طبق وماذا يحتوي كل صحن. حين غادر بانو ومدبرة المنزل تابع يقول: «أريد أن أمشي قريباً. يجب أن أبدأ بالسير بعد أسبوع إن أردت الذهاب إلى أثينا بعد شهر».

قالت مصدومة: «أتعني الأسبوع المقبل؟».

لم تستطع إليزابيث أن تتقبل ما تسمعه. لم تصدق كيف تغير. لم تصدق كيف سارت الأحداث.

كل شيء تغير. كل شيء! رددت إليزابيث في داخلها. وحين نظرت نحوه عبر الطاولة رأته أكبر حجماً وأطول ومقنعاً أكثر.

أصر قائلاً: «بعد أسبوع».

- كريستيان! من الجيد أن يكون لديك أهداف. لكن، أرجوك كن واقعياً. من الصعب أن تتمكن من السير من دون مساعدة خلال الأسبوعين الآتيين. لكن مع العمل الشاق قد تتمكن من قطع مسافة لا بأس بها وأنت تستخدم العصا: «لا أريد استخدام العصا عندما أذهب إلى أثينا».

- لكن...!

- إنها مسألة ثقافة واحترام، آنسة هاتشت. أنت لست يونانية، ولا

www.elromancia.com

تفهمين . . .

- أنا أفهم، لهذا أنا هنا . لكن أعطِ نفسك بعض الوقت لتحقق أهدافك . شهرين أو ثلاثة تبدو فترة واقعية .

دفع كريستيان كرسيه المتحرك بقسوة، وتراجع إلى الوراء بعيداً عن الطاولة .

- هذا يكفي!

وضع ببطء إحدى قدميه على الأرض، ثم أنزل القدم الثانية، وانحنى إلى الأمام فوضع يديه على الطاولة . للحظة لم يبدُ أن شيئاً سيحدث . لكن شيئاً فشيئاً بدأ يدفع بجسمه إلى الأعلى مستخدماً عضلات يديه ليعطي نفسه المزيد من الدفع . أصبح وجهه باهتاً وجبينه متعرقاً، وانسدل شعره الأسود الكثيف فوق وجهه، إلّا أنه تابع الدفع حتى وقف باستقامة على الأرض .

ما إن أصبح مستقيماً حتى أرجع رأسه إلى الخلف قائلاً: «ها نحن!» .

حسناً! أثبت لها من جديد أنها مخطئة . وقف من دون أي مساعدة .

أدركت إليزابيث من شحوبه ومن الخطوط التي علت وجهه أنه يتألم، لكنه لم ينطق بأي كلمة ليشتكي . لم تستطع إلا أن تنظر نحوه باحترام، فما فعله ليس سهلاً . لكنه نجح، وها هو يقف بمفرده الآن .

أخفت إليزابيث دهشتها، وقالت: «إنها البداية» .

كريستيان ليس رجلاً عادياً . إنه يملك طاقة وقدرة عاليتين جداً .

تابعت تقول: «هذا مؤثر، لكنك تعلم أن الأمر سيصبح أصعب من هذه النقطة» .

تحرك كريستيان في مكانه وهو يحاول أن يثبت قدميه، ثم رفع إحدى يديه عن الطاولة كي يقف مستقيماً .

- حسناً! أنا جاهز .

حاول العثور على كرسيه خلفه فكاد يهوي . قفزت إليزابيث من مكانها، وهرع بانو أيضاً من الظلال نحوه . لوح كريستيان لهما بيده بغضب، ثم قال: «آه، لا!» .

- أرجوك!

قال بانو ذلك وهو يرى معاناة كريستيان . لكن كريستيان رد باليونانية بإصرار بعد أن أخذ نفساً: «أستطيع القيام بذلك . علي أن أفعل» .

تراجع بانو إلى الخلف، وجلست إليزابيث مكانها ببطء ومشاعرها تتقلب بين الاعجاب والسخط؛ أعجبت بتصميمه على عدم السماح لأحد أن يساعده على الجلوس، إلا أنها عرفت أنه إذا تابع التصرف على هذا النحو فسيشعر قريباً بالتعب والاحباط . عليه أن يبني قوته تدريجياً بنظام مدروس . لكن لدى كريستيان تخطيط مختلف، وقد شرح لها ذلك بعد الغداء .

ليست وظيفتها وضع العراقيل في وجهه وتوجيه النصائح له، بل وظيفتها أن تكون بجانبه إن احتاج لشيء ما . هذا كل شيء .

- هل ستعتبرني خادمة؟ بإمكانك أن توظف أي شخص ليلعب دور الخادمة . أنا لدي مواصفات تفوق هذه الوظيفة . . .

قالت ذلك وهي تحاول إخفاء سخطها .

- أعلم . قامت وكالتك بتوظيف أموال طائلة من أجل العناية بي، لكنها لم تنفعني كثيراً .

- أنت اخترت عدم الاستجابة .

- الوسائل التي استخدمتها وكالتك لم تنفع .

- أنا أحتج .

- بإمكانك أن تحتجي كما تشائين، لكن ذلك لا يبدل الواقع . تحت رعاية وكالتك لم أفشل فقط في عدم التعافي بل تم ابتزازي أيضاً . بالإضافة إلى هذا كله آنسة هاتشت، أنت لم تكتفي بتطبيق نظامك وإنفاق مئات بل ألوف الدولارات، بل تجرأت على القدوم إلى هنا بالرغم من عدم الترحيب بك وعدم رغبتي في وجودك، وفرضت نفسك علي .

شعرت إليزابيث بألم في قلبها . وقفت وهي تقول: «إذاً سأغادر . دعنا ننسى ما حصل، ولنعتبر أنه لم يحدث» .

- ماذا عن الأطباء أيتها الممرضة؟ ماذا عن المختصين الذين أصروا على

www.elromancia.com

قدومك إلى هنا وإلا سيعيدونني إلى مركز العلاج في أثينا؟ أهذا حقيقي أم أنها كذبة أخرى منك؟

- كذبة؟

- أعلم لما أتيت إلى هنا . . .

- لأجعلك تتحسن!

- أمامك عشر ثوان كي تعطيني الاسم الكامل ورقم هاتف الشخص المسؤول عن الدفع لك مقابل خدماتك، وإلا قمت بإلغاء شركتك خلال ساعة من الزمن. لن يتطلب الأمر سوى اتصال واحد إلى مكتبي في أثينا، وحياتك ستتغير إلى الأبد.

- كريستيان . . . !

- تسع ثوانٍ.

- كريس . . . !

- سبعة!

- الاتفاق كان . . .

- ستة!

نزلت الدموع من عينيها وهي تقول: «هذا لأنها تهتم. لأنها تحبك . . .».

- أربعة!

- تريدك أن تعود إلى المنزل . . . بالقرب منها.

- ثانيتين.

شدت أصابع يديها على بعضها في قبضتين، وقالت: «أرجوك!».

- ثانية واحدة!

- كوسيما.

ضغطت إحدى قبضتيها فوق صدرها لتخفف من دقات قلبها المتسارعة، وقالت: «كوسيما قامت بتوظيفي. إنها يائسة، وتريدك أن تعود إلى المنزل».

٥ - أعمى ولكن!

كوسيما؟!

تصلب فك كريستيان وأصبح صوته أقسى. أيعقل أن تقوم كوسيما بدفع كلفة علاجه؟ بالرغم من أنها كانت خطيبة أندرياس ومن أشهر نساء المجتمع، لكنها تعاني مشاكل مالية أكثر من أي شخص آخر يعرفه.

- كوسيما وظفتك؟! أهي التي اتصلت بك إلى لندن؟

- نعم. لكنني وعدتها ألّا أخبرك.

- لماذا؟

- قالت إنك قد تشعر بالغضب إن عرفت. وقالت إنها فخورة جداً . . .

اضطرت إليزابيث إلى التوقف عن الكلام قليلاً لتمنع نفسها من البكاء، ثم تابعت: «قالت إن عليها القيام بشيء يجعلك ترى كم هي فخورة بك».

كوسيما فخورة به! ردد كريستيان في سره كلامها بسخرية. ربما تشعر كوسيما فعلاً بالامتنان له، وربما تشعر بالذنب مثله. لأنها في النهاية بقيت على قيد الحياة بينما توفي أندرياس، وكريستيان هو من اتخذ ذلك القرار. لاعجب أن الكوابيس تراوده دائماً. لاعجب أنه يرى الكوابيس حتى في النهار. لم يستطع تقبل القرار الذي اتخذه. لم يستطع أن يتقبل بأن هذا القرار لا يمكن تعديله الآن.

لكن إليزابيث لا تعلم شيئاً عن غضب كريستيان وحزنه، فتابعت تقول: «الآن وقد أصبحت تعرف، لم يعد الاتفاق ساري المفعول. لا يمكنني البقاء . . .».

قاطعها كريستيان قائلاً: «بالطبع بإمكانك البقاء. إنها لا تعلم أنني

www.elromancia.com

أصبحت أعرف الآن. لا ضرورة لتخريب خطتها الصغيرة».

قابل الصمت تلك الكلمات، وللحظة ظن كريستيان أن إليزابيث رحلت، لكنه سمع حركة خفيفة وتنهداً بسيطاً.

- إنها تريد الأفضل لك. أرجوك، لا تغضب منها. بدت شخصاً طيباً جداً.

في تلك اللحظة اكتشف كريستيان أمراً هاماً يخص إليزابيث هاتشت؛ هي ربما تملك نوايا حسنة، لكن بالتأكيد يسهل خداعها، وهي لا تعرف كيف تحكم فعلاً على شخصيات الناس. أراد أن يسألها إن كانت تعرف أن كوسيما وكاليستا قصدتا المدرسة نفسها، وأنهما تشاركتا الشقة معاً لأكثر من سنة، وأنهما ذهبتا إلى وكالة عرض الأزياء معاً أيضاً. بإمكانه أن يخبرها أن كوسيما وكاليستا كانتا صديقتين حميمتين إلى أن سارت حياتيهما في طريقين مختلفين.

التقت كوسيما بأندرياس وأصبحت صديقته، ثم خطيبة واحد من أكثر الرجال اليونانيين ثراءً. أما كاليستا فلم تستطع إيجاد رجل ثري لتتخذه صديقاً لها، ولم يعد عرض الأزياء يكفي إيجار الشقة، فتحولت إلى راقصة استعراضية. بدا أن الاثنتين لم يعد بينهما أي قاسم مشترك بعد مرور بضع سنوات. سافرت كوسيما حول العالم آملة أنها ستصبح زوجة أندرياس، أما كاليستا فقد عانت لتتقدم. ثم وقعت المأساة، وعادت الفتاتان لتتعادلا.

توفي أندرياس أثناء تلك الرحلة، وبالرغم من أن كوسيما لاتزال على قيد الحياة، لكنها خسرت أسلوب الحياة الذي اعتادت عليه. أما كاليستا التي كانت لا تزال تعاني في ذلك الوقت، فاعتقدت أنها حصلت على الحبيب المنتظر... حتى لو كان مُقعداً.

ظهرت ابتسامة خفيفة على زاوية فم كريستيان، وخبأت شفتاه خلفهما غضبه العميق وسخريته. لم تكن كاليستا الفتاة الأولى التي اعتقدت أنه هدف سهل. مئات النساء حول أوروبا حاولن التقرب منه أثناء وجوده في المستشفى. أحضرن له الأزهار وأغرينه بالوعود؛ أنا أحبك... سأكون

دوماً إلى جانبك... لن أتركك أبداً...

لم يكن كريستيان ليتزعج لو أن بينهن امرأة صادقة، لكنهن جميعهن استغلاليات ويحاولن اقتناص الفرصة. هن يفكرن بأن الحياة مع شخص معوق ليست حياة بائسة إن كان ذلك المعوق أحد أثرياء اليونان. شعر كريستيان من جديد بالغضب. هل تعتقد النساء أنه إن فقد بصره فهذا يعني أنه فقد عقله؟ أو أن عدم قدرته على التحرك من دون مساعدة عبر الغرفة ستجعله يستمتع برفقة امرأة سطحية.

- إذاً، قابلت كوسيما؟

- تكلمنا عبر الهاتف فقط، لكن اهتمامها جعلني أتعاطف معها.

أضافت إليزابيث بتوتر وهي تحاول ملء الصمت: «من الواضح أنها تملك قلباً رقيقاً. ليس من العدل أن تعاقبها لأنها تحاول المساعدة».

مرر كريستيان يده فوق ذقنه.

- أنت محقة. كما قلتِ، يبدو أنها تريد أن تراني أسير على قدمي أيضاً.

- نعم، نعم... إنها قلقة عليك. سمعتها تذرف الدموع عبر الهاتف. أعتقد أنها خائفة من رفضك لها.

- أحقاً؟

لفتت انتباهه هذه الملاحظة. هل تتخيل كوسيما احتمال حدوث أمر ما بينهما في المستقبل؟ بدت الفكرة مضحكة وغريبة في الوقت عينه.

- قالت إنك ستصبح منعزلاً هنا.

- إنه منزلي.

- لكنها قلقة لأنك محبط وكئيب.

حاول كريستيان إخفاء النبرة الساخرة من صوته: «أهذه كلماتها؟».

- نعم. في الواقع، كتبت ذلك في دفتر الملاحظات إن أردت أن تتأكد...

- لا، أنا أصدقك.

رفع حاجبيه وهو يشعر بالفضول وعدم التصديق. لم تكن كوسيما يوماً

عاطفية أو حساسة، فلِمَ تشعر بالقلق لعودته إلى أثينا؟ تابع يقول وهو يريد أن يسمع المزيد عن اهتمام كوسيما المفاجئ: «إذاً؟ أرسلتك إلى هنا كي تنقذيني».

- ليس لإنقاذك بل لتحفيزك على التغيير، لتعود إلى الوقوف على قدميك.

- ولأبصر أيضاً!

أضاف ذلك وهو يشير بيديه، ثم تابع يقول: «اليوم وقفت، وغداً سأتسلق جبل إفرست».

صححت له إليزابيث وهي لا تبدو سعيدة: «ليس إفرست، لكنك ستتمكن من السير في يوم زفافك».

زفاف؟!

سمع ما يكفي حتى الآن. لم يعلم إن كان عليه أن يصرخ من التسلية أم الغضب. يوم زفافه من كوسيما التي كانت حبيبة أخيه؟ يا إلهي! هذا يشبه إحدى القصص اليونانية القديمة المضحكة... إنها قصة مليئة بالبهجة والسرور، لكنها مأساوية في الوقت نفسه. ذكرته كاليستا وكوسيما بشقيقتين يونانيتين: بينيا إلهة الفقر وأماخانيا إلهة البؤس. لكن كريستيان لن يتعذب بعد اليوم بعد أن كشف حقيقتهما. وإن سار كل شيء لصالحه ستساعده الممرضة كراتشيت في لعب دور أساسي في المسرحية.

- دعينا لا نخبرها أنني أعرف. دعينا نعمل بجهد لنفاجئها بتقدمي.

- إذاً، من أين سنبدأ؟ ما الذي سنفعله أولاً؟

كاد يبتسم بسبب حماسها، إذ بدت راضية عما يفعله. أجابها وهو يحاول أن يوضح جيداً أنه هو الذي سيتخذ جميع القرارات: «قمت بتوظيف معالج فيزيائي من سبارتا، وسيصل غداً».

- وما الذي سنفعله حتى الغد؟

- سأقوم على الأرجح بالاسترخاء. سأنام قليلاً، وأسبح قليلاً.

- هل تسبح؟! ما رأيك في السباحة؟

جعلته دهشتها يظهر ابتسامة صغيرة.

- أنا أقوم بذلك منذ أسبوعين.

- منذ أن رحلت آخر ممرضة؟

لم يجبها، فهو لا يريد أن يفعل.

- ربما بإمكانك أن تريني البركة.

للحظة شعر بالأسف من أجلها. إنها تحاول بشدة أن تقوم بما تظن أنه الأفضل، لكن فكرتها عن الأشياء الصحيحة خاطئة.

- بالطبع، إن أتيت برفقتي.

مشيا معاً عبر الشرفة الحجرية حيث استمتعا بتناول الغداء. كان كريستيان يدفع بكرسيه وإليزابيث تمشي إلى جانبه. توجها نحو النافورة، وتابعا التقدم نحو الحديقة المليئة بالممرات المرصوفة بالحصى الصغيرة. سارت إليزابيث ببطء كي تبقى بمحاذاة كرسي كريستيان كي تسهل عليه التقدم بالسرعة التي تناسبه. علقت عجلات كرسيه بالحصى قليلاً، فتوقف عن التقدم حتى عرف كيف يوجهها ليتابع التقدم من جديد بشكل سريع.

- كان من الأفضل لك أن ترصف هذ الممرات بالحجارة بدلاً من الحصى الصغيرة. أليس كذلك؟

تلونت وجنتاه بلون داكن، ثم قال: «اقترحوا علي ذلك منذ أشهر، لكني علمت أنني لن أبقى في الكرسي المتحرك إلى الأبد».

- إذاً، أنت خططت للخروج من كرسيك؟

رفع كريستيان رأسه، ونظر نحوها كأنه يراها، ثم قطب حاجبيه. فكر بسؤالها الذي ذكره بما خططه لحياته من قبل. توقف للحظة كي يسترجع تركيزه: «هل أصبحنا قريبين من سياج الأشجار؟».

- نعم. نحن أمامه تماماً.

- إذاً، أصبحت بركة السباحة إلى يسارنا.

استدارت إليزابيث نحو اليسار، فبهرها انعكاس الشمس للحظة فوق المياه الزرقاء الرائعة.

- إنها بركة سباحة حديثة.

توقعت إليزابيث ذلك بسبب الهندسة الجميلة للبركة وما يحيط بها بالإضافة إلى الزخرفة المميزة للبلاط الذي كسا جدرانها.

- صرفت الأموال الطائلة كي أحول هذا الصرح القديم الذي بني منذ عقود طويلة إلى منزل مريح. عملي هذا كان تابعاً من حبي للمكان.

تقدمت إليزابيث لتفتح بوابة جميلة أمامهما.

- لكن لماذا اخترت تايغتوس؟ لمَ اخترت صرحاً مدمراً؟ عائلتك ليست من هذا المكان. أليس كذلك؟

- لا، لكنني أحب المناطق الجبلية. هنا أشعر أنني في المنزل.

رفع يديه إلى وجهه كي يحجب نور الشمس عنه، ثم تابع يقول: «أمي فرنسية تربت في بلدة صغيرة في وديان جبال الألب. أما أنا فتربيت على حب تسلق الجبال والصخور والتزلج. هذه هي الأشياء التي علمنا إياها والدنا، وهي الأشياء نفسها التي كانت تستمتع بها والدتنا، لذا بدا من المناسب العيش هنا».

لاحظت إليزابيث كيف بقي يحاول حماية عينيه بيديه من أشعة الشمس.

- هل تزعجك الشمس الآن؟

- أنا عادة أضع الضمادات أو نظارتين سوداوين.

- لديك حساسية عالية على الضوء.

- إنه مؤلم.

هي لا تريده أن يتألم، لكن حساسيته على الضوء جعلتها تتأمل أنه قد يتمكن من استعادة نظره يوماً ما.

- هل أطلب من بانو أن يحضر لك النظارتين؟

- هذا ليس ضرورياً. لن نبقى هنا فترة طويلة.

- لكن المكان جميل في الخارج.

أخذت إليزابيث تجول بنظرها حول البركة، وتبدي إعجابها بالأزهار الأرجوانية اللون التي تنبت بين الجدران الحجرية.

- دعني أحضرها لك. عندها ستتمكن من الاسترخاء والشعور براحة أكبر.

- لا، فقط جدي لي مكاناً ظليلاً أو ربما وضعية جلوس معاكسة لأشعة الشمس.

- هناك ظلال عند الناحية الأخرى من البركة بقرب الجدران الحجرية.

ترددت قليلاً، ثم تابعت تسأله: «هل أدفعك إلى الأمام؟».

- بإمكاني القيام بذلك بمفردي.

تقدمت إليزابيث، فيما أخذ كريستيان يدفع كرسيه بمفرده. فجأة تعثرت العجلات الأمامية للكرسي بالحجارة، بعدئذٍ بدأت تتقدم بسرعة من دون أن يتمكن من التحكم بها، وما لبث أن لحق الكرسي كله بالعجلات الأمامية. فجأة شعرت إليزابيث بالماء يرشها بقوة، فيما انتشر الرذاذ في كل مكان. حصل ذلك كله بالحركة البطيئة.

ركعت على ركبتيها مذعورة وهي تشاهد مريضها يقع أمامها مع كرسيه المتحرك. كيف سمحت بحدوث هذا؟ يا لها من متهورة!

أرادت إليزابيث أن تقفز لتنقذ كريستيان، إلّا أنها رأته يسبح على وجه الماء. لكن فيما أخذ هو يسبح نحو حافة البركة راح كرسيه يغرق ببطء.

أخذت إليزابيث تعتذر منه قائلة: «كريستيان... أنا آسفة! أنا آسفة!».

لم تشعر يوماً من قبل بعدم قدرتها على التصرف بشكل مهني، فحصول حادث مماثل يعتبر إهمالاً منها. كلاهما يعرفان ذلك.

- تركتك تقترب كثيراً من الحافة. أنا آسفة. وجب علي الانتباه أكثر.

أخذ كريستيان يسبح باتجاهها، فانحنت إليزابيث نحوه ومدت يدها بقدر ما تستطيع.

- كدت تصل إلى الحائط. يدي أمامك تماماً... كدت تصل.

تابعت تشجيعه حتى وصل إليها. شبك أصابعه بأصابعها، فشعرت بالارتياح. إنه بخير!

- أمسكت بك.

- هل أنت واثقة؟ أم أنني أنا الذي أمسكت بك؟

تشبث بها بقوة، وشدها بقبضته القوية نحو الماء.

وقعت إليزابيث على بطنها فوق الماء، وانتشر رذاذ الماء من جديد. قام كريستيان بسحبها إلى الماء بمنتهى السهولة. لم تستطع تصديق الأمر، فهذا كثير بالنسبة لكريستيان كومنتاروس الضعيف العاجز. إنه بعيد جداً عن العجز، وقد خدعها ثلاث مرات حتى الآن. عامت على وجه المياه، ثم نظرت نحو كريستيان، ورأته يتكئ ببساطة إلى الحائط.

- هذا قاسٍ!

سبحت نحوه وثيابها المبللة تصعب عليها الحركة. ضحك كريستيان برقة وهو يمرر يده في شعره ليدفع بخصلاته إلى الخلف بعيداً عن وجهه.

- اعتقدت أن ذلك سيبدو منعشاً.

عصرت المياه من شعرها: «لم أكن أريد حدوث ذلك».

- الاهتمام الكبير بسلامتي يبدو مؤثراً. أتعلمين كراتشيت؟ خشيت أن تكوني مثل ممرضاتي السابقات، لكن علي إخبارك أنك أسوأ.

ابتلعت إليزابيث ريقها بصعوبة. إنها تستحق ذلك!

- أنا آسفة. أنا لم أقم بالاعتناء بأي مريض في المنزل منذ مدة طويلة. كما تعلم أنا مديرة المؤسسة الآن.

لو سمحت إحدى ممرضاتها بوقوع أحد مرضاها في الماء لطردتها من عملها على الفور.

- هل نسيت المهارات التمريضية؟

- همم!

تسلقت السلم لتخرج من الماء، ثم جلست على حافة البركة لتجفف تنورتها وتخلع حذاءها.

- إذاً، لم أنت هنا لا واحدة من ممرضاتك؟

تنهدت إليزابيث وهي تعصر المياه من تنورتها، ثم قالت: «قاربت الوكالة على الإفلاس. لم يعد بإمكاني تحمل مصاريف ممرضة أخرى. إما

أنا أو لا أحد».

- لكن شركة التأمين تدفع تكاليف علاجي. أليس كذلك؟ وأنا أيضاً دفعت.

راقبت إليزابيث المياه وهي تنزل من تنورتها على البلاط.

- هناك بعض التكاليف التي لم يتم دفعها، وكان من الصعب تأمين تلك المصاريف. والآن بدأ حجمها يزيد عن المدخول.

لم تتعب نفسها بإخباره أن كاليستا احتاجت إلى الرعاية والتعويض بعد مغادرة منزله، وأن تغطية فواتيرها كلفتها الكثير أيضاً.

- أعتقد أن من الأفضل أن أحضر لك كرسيك.

- أنا بحاجة إليها فعلاً. هل أنت سباحة ماهرة؟

- بإمكاني أن أسبح.

- لا يبدو أنك واثقة من الأمر، كراتشيت.

ابتسمت في سرها، وقالت: «سأكون بخير».

حاولت عدم الشعور بالذعر لأنها ستحبس أنفاسها وتنزل تحت الماء إلى الأعماق. ستنزل إلى الأسفل وتحضر الكرسي وتعيدها إليه.

تنهد كريستيان وهو يدفع بشعره المبلل إلى الخلف عن وجهه.

- أنت خائفة.

- لا!

- أنت لست سباحة ماهرة.

بدا صوتها نافد الصبر وهي تقول: «بإمكاني أن أسبح على سطح الماء، لكن الغطس في الأعماق يسبب لي... التوتر».

- أتعانين من فوبيا الأعماق؟

- آه! الأمر يبدو سخيفاً، لكن...

توقفت عن الكلام، إذ لم تشأ أن تخبره أنه خوف حقيقي.

- لكن، ماذا؟

- وقع لي حادث وأنا صغيرة.

www.elromancia.com

بدا كريستيان كأنه ينتظر التفاصيل، فتابعت إليزابيث قائلة: «كنت ألعب لعبة الغوص تحت الماء مع فتاة التقيت بها. رحنا نرمي عملة معدنية ثم نغوص لإحضارها. يبدو أنه كان في قعر بركة الفندق مصرف كبير للمياه، وبطريقة ما...».

توقفت قليلاً عن الكلام شاعرة ببعض الألم وهي تخبر قصتها، ثم تابعت تقول: «وبطريقة ما علقت خيوط من ثوب السباحة به. لم أستطع تخليص الخيوط ولا خلع ثوب السباحة».

لم يتكلم كريستيان، فيما حاولت إليزابيث أن تبتسم.

- أخرجوني من هناك بالطبع. هذا واضح، فها أنا هنا. لكن...

شعرت بالألم في داخلها بسبب ذكريات ذلك الحادث. هزّت كتفيها، وقالت: «كنت خائفة».

- كم كان عمرك؟

- ست سنوات.

- لابد أنك كنت سباحة ماهرة لتلعبي لعبة الغطس في الأعماق وأنت في السادسة.

ضحكت قليلاً، ثم قالت: «كفتاة صغيرة، أظنني كنت شرسة قليلاً. كانت مربيتي...».

صمتت إليزابيث، ثم صححت جملتها وتابعت: «على أي حال، بعد ذلك لم أعد أريد أن أسبح من جديد، لا سيما في البرك الكبيرة. بعدئذٍ أخذت أسبح فقط في الناحية غير العميقة من البرك».

تمكنت من الشعور بتفحص كريستيان لها بالرغم من أنه لا يرى.

- سأعقد معك اتفاقاً.

زمت إليزابيث شفتيها؛ أصبحت الاتفاقات ترعبها!

- أي نوع من الاتفاقات؟

- سأحضر الكرسي بنفسي شرط ألا تنظري نحوي وأنا أخلع ثيابي. ليس بإمكاني أن أغطس بهذه الثياب.

ابتسمت، وقالت: «حسناً!».

رفع حاجبيه، وقال: «سأبقى بثيابي الداخلية فقط. فهل ستشيحين بنظرك إلى البعيد بتهذيب؟».

- نعم. سأشيح بنظري إلى البعيد بتهذيب.

قال من البركة: «حسناً!».

وبدأ يخلع ثيابه.

بالرغم من أن إليزابيث وعدته أنها لن تنظر إليه إلا أنها لم تتمالك نفسها. راقبته بينما خلع ثيابه، واكتشفت أنه يملك جسداً مذهلاً. بالرغم من الحادث والجروح المخيفة إلا أن جسده بقي قوياً وعضلاته مشدودة. اختفى كريستيان تحت الماء، وأخذ يسبح نحو الأعماق بحركة قوية. وبالرغم من أنه لا يرى اتجه نحو المكان الصحيح مباشرة. تطلب الأمر منه لحظة كي يجد الكرسي، وحالما أمسك به رجع مباشرة ليسبح نحو سطح الماء. هذا مذهل!

بينما وصل كريستيان كان بانو وإحدى الخادمات قد أتيا بسرعة عبر البوابة الحديدية الصغيرة وهما يحملان مجموعة من المناشف. صاح بانو: «يا إلهي! هل أنت بخير؟».

أجابه كريستيان على الفور: «أنا بخير».

وضع الكرسي على حافة البركة، فاستلمها بانو فوراً. قلبها على جانبها ليفرغ الماء منها، ثم قلبها إلى الناحية الأخرى ليخرج منها المزيد من الماء. مرر الكرسي للخادمة التي بدأت بتنشيفها. في هذه الأثناء وضع كريستيان يديه على الحافة الحجرية، ودفع بنفسه إلى الأعلى باستخدام عضلات يديه فقط. إنه أقوى مما يحاول أن يظهر، وهو قادر على الاهتمام بنفسه أكثر مما توقعت إليزابيث. وهو على الأرجح ليس بحاجة إلى العناية.

لم تتمكن إليزابيث من إبعاد ناظريها عنه. بدا جسده كاملاً، ليس فيه أي عيب. لم يبدُ مريضاً على الاطلاق، بل رجلاً كاملاً ذا عضلات مفتولة.

ما كان عليها أن تحدق به. الأمر غير مهني أبداً. شعرت بالدماء تتجمع

www.elromancia.com

في وجنتيها، فحاولت محاربة الخجل والاهتمام. إنه يتمتع بجسده جميل ومتناسق، وهو مؤثر بشكل قوي بالرغم من أنها في العادة لا تتأثر بسهولة. لا عجب أنه بدا مرتاحاً في حركته.

قال كريستيان وهو يمرر المنشفة فوق رأسه: «اعتقدت أن بيننا اتفاقاً».

- نعم... فعلاً.

ازداد احمرار وجنتيها، ثم وقفت وهي تحاول تنشيف تنورتها من جديد، وقالت: «ربما علي أن أذهب لإحضار ثياب جافة».

- فكرة جيدة.

ألقى يديه إلى جانبيه، ورفع رأسه ثم قال: «أنا لا أريدك أن تمرضي».

ظهرت ابتسامة على زاوية شفته، فيما غطت أشعة الشمس تقاسيم وجهه، وأظهرت ندوبه الكبيرة، فشعرت إليزابيث بالأسف لما فعله الحادث المؤسف بهذا الجمال اليوناني.

- أراك عند العشاء.

يراها عند... العشاء؟!

إنه بالطبع لن يتمكن من رؤيتها، لكنه سيلتقي بها. قفز قلبها من مكانه مجدداً وهي تقول: «أتعني... الليلة؟».

- أعتقد أنه يتوجب علي تناول جميع وجبات الطعام معك. ألم تقولي إنك تريدين أن تجعليني اجتماعياً أكثر. تريدين أن تعيديني إلى المدنية من جديد. أخذ قلبها يضرب كقرع الطبول. أجبرت نفسها على الابتسام، وقالت: «هذا صحيح. أنا متشوقة لذلك».

استدارت إليزابيث بسرعة. كي تختفي من هناك وتختبيء في غرفتها. أخذت تنبه نفسها طوال الطريق قائلة: «لا تتورطي بشكل شخصي معه. مهما فعل، لا تأخذي الأمر بشكل شخصي. دعي العلاقة رسمية ومهنية».

لكن فيما وصلت إلى غرفتها وبدأت تخلع ثيابها المبللة كادت تبكي من شدة تأثرها به.

لقد تورطت بالفعل، حصل ما حاولت تحذير نفسها منه!

٦ - وتلاشت الظلمة...

راح كريستيان يصارع ليشق طريقه نحو الفيلا. تساقط الماء من كرسيه وتبللت وساداته تماماً. الحمد لله أنه كاد يتخلص من هذا الكرسي.

اليوم بعد سقوطه في البركة بدا غاضباً. كره الطريقة التي وقع فيها لأنه أعمى وما بيده حيلة. كره الصدمة والمفاجأة اللتين أصابتاه. لكن في الوقت عينه أحدث هذا السقوط المفاجيء نتائج مفاجئة أيضاً، فإليزابيث تخلت عن جزء من غموضها وجعلته يكتشف أنها ليست قاسية بالقدر الذي يتخيله، وأن بإمكانها أن تظهر اللطف أحياناً. أما خوفها العميق فأثر به كثيراً. هو أيضاً وقع مرة عن ظهر الحصان وهو صبي صغير، ولم يعد يمتطي الأحصنة لأعوام طويلة. أما عودته إلى الكرسي المبلل فبدت درساً آخر له. ما إن جلس فيه حتى أدرك أن الكرسي أدى مهمته، وأنه لم يعد يريده بعد اليوم. لم يعد يرغب في البقاء مقيداً به. إنه يحتاج إلى الحرية.

مر بكرسيه فوق العشب، ثم توجه نحو الجناح الذي يضم غرفته. أغلق بانو الباب الخارجي وسأله: «كيف انتهى بك الأمر في البركة؟».

هز كريستيان كتفيه، وأزال المنشفة المبللة عن رقبته وقال: «دفعتني الآنسة هاتشيت نحو الظلال، ولم تستطع أن تقدر المسافة بينها وبين البركة».

استفسر بانو بغضب: «هل دفعتك الممرضة نحو الماء؟».

- كان مجرد حادث.

- كيف أمكنها أن تفعل ذلك؟

- برزت زاوية حادة في الأرض.

- كيف يعقل أن يحدث ذلك؟ هذا ليس جيداً.

تمتم الخادم بهذا وهو يفتح الدرج لإخراج ثياب نظيفة، ثم تابع يقول: «عرفت أنها ليست ممرضة جيدة. علمت أنها لن تحسن القيام بعملها. علمت ذلك».

ابتسم كريستيان، وسأله: «لِمَ تجدها ممرضة غير مناسبة؟».

- لو أنك تستطيع أن ترى...

- لكنني لا أستطيع، لذا عليك أن تخبرني أنت.

- أولاً، هي لا تتصرف كممرضة؛ ثانياً، إنها لا تبدو كممرضة.

- لِمَ لا؟ أهي عجوز جداً وسمينة؟

- أه! لا. إنها ليست عجوزاً أو سمينة بل على العكس، هي شابة ورشيقة، كأنها عصفور صغير في قفص. إن كنت تريد أن تكون ممرضتك عصفورة شقراء فهي مناسبة، لكن إن كنت تريد ممرضة قوية لتحمل الأغراض وتنقلها...

تنهد بانو وهز كتفيه، ثم قال: «... إذاً فالآنسة إليزابيث ليست لك».

إنها شقراء إذاً! فكر كريستيان بعد أن غادر بانو وتركه ليرتدي ملابسه. كما أنها ليست عجوزاً ولا قبيحة. إنها امرأة نحيفة وشابة. حاول كريستيان أن يتخيل صورتها. حاول أن يعرف كيف تبدو ممرضته الشابة التي لم تقم بالتمريض الفعلي منذ سنوات، والتي بقيت في الفنادق وهي طفلة صغيرة مع مربية تعتني بها، لكن بدا من المستحيل تخيلها. سبق لكريستيان أن عرف العديد من الفتيات، وكان باستطاعته أن يراهن على أن إليزابيث سمراء، لكنها ليست كذلك. إنها مليئة بالمفاجآت؛ صوتها يبدو كصوت الكمان، وعطرها بدا كرائحة العشب الأخضر الليلة الماضية حين انحنت فوق سريره لترتب وساداته، كما أنه تفاجأ لأنها تفلت شعرها. شيء ما جعله يعتقد أنها امرأة أعمال تقليدية، لكن يبدو أنه كان مخطئاً. من الواضح أن كراتشيت شقراء ونحيفة وجميلة.

حاول أن يرسم انطباعاً جديداً عنها، وتساءل كم تبلغ من العمر، كم يبلغ طولها، وما لون شعرها. هل هي شاحبة؟ أم لامعة وحيوية، مليئة

بالطاقة والحياة؟ ليس عمرها وشكلها الخارجي هما اللذان لفتا انتباهه بل القصة التي روتها عن الحادثة التي تعرضت لها وهي في السادسة من عمرها، فقد كانت حينها سباحة جريئة، أما الآن فهي تخاف من التوجه إلى الأماكن العميقة. إنها لا تزال تعاني من تلك الذكرى المؤلمة.

* * *

بعد مضي ساعات طويلة من القراءة والنوم بشكل مريح في غرفتها قامت إليزابيث لترتدي ملابسها وتحضر نفسها للعشاء. لم تعد تعلم ما الذي تفعله هنا. كريستيان ليس بحاجة إلى ممرضة، وهو بالتأكيد لا يحتاج إلى المراقبة الكاملة التي تؤمنها وكالتها. لماذا هي هنا إذاً؟ لماذا أخذت مال كوسيما؟ كريستيان لا يدعها تقوم بأي شيء. هو يريد التحكم بزمام الأمور بمفرده، وهذا أمر جيد إن كان يحفزه على التقدم، وسيكون أفضل بوجود مدرب رياضي ومعالج يساعده على التأقلم مع فقدان نظره.

زاد من قلقها أنها لم تكن تدري ما الذي سترتديه للعشاء.

هي التي تربت في فنادق خمس نجوم بدأت تعاني من الذعر لأنها لا تعرف ما الذي سترتديه لتناول وجبة عشاء متأخرة في منزل قديم في تايغتوس. سحبت إليزابيث ثيابها من الخزانة قطعة بعد قطعة، ولم يعجبها شيء.

ذكرت نفسها بحزم أن هذه ليست عطلة للتسلية، ثم سحبت تنورة رمادية مع سترة حريرية تليق بها وارتدتهما. جعدت أنفها عندما رأت صورتها في المرآة. هذا سيء...! لكن، لِمَ تكترث حتى بما سترتديه؟

شعرت بالقلق والذنب. إنها تتصرف وكأنها تستعد للخروج في موعد غرامي. إنه عشاء مع مريض. وجودها هنا وشعورها هذا خاطئان. إنها هنا من أجل العمل والعناية الصحية. بالرغم من ذلك تذكرت ابتسامة كريستيان قرب البركة وسخريته الباردة حين قال: «ظننت أن بيننا اتفاقاً»، فشعرت بذبذبات في داخلها لحقها ارتعاش عميق. إنها متوترة... إنها متحمسة...!

إنه خطأ مهني بالإضافة إلى كونه خطأ أخلاقياً أن تفكر به على أنه أكثر من مريض. ذكرت نفسها أنه مريض ليس أكثر، لكنها بالرغم من ذلك أحست برفرفة الحماسة في بطنها.

مررت الفرشاة في شعرها بسرعة. من السخف جعل الأمر يبدو رومنسياً. سبق أن تزوجت من رجل يوناني، وانتهى الأمر بكارثة. دام زواجهما سنتين، لكنه أثر بها لمدة سبع سنوات تقريباً.

أعادتها تلك الذكرى عشر سنوات إلى الوراء حين كانت في العشرين من عمرها. يومها انتخبت -وهي من فتيات المجتمع الراقي في نيويورك- كأجمل فتاة أميركية. كانت لاتزال شابة صغيرة ومن دون خبرة. مجرد فتاة تظهر للمرة الأولى في المجتمع. صدقت بغباء كل كلمة قيلت لها. مضت ثلاث سنوات قبل أن تفهم أن الناس أحبوها من أجل اسمها ومالها وليس من أجلها. همست لنفسها قائلة: «لا مزيد من الأثرياء اليونانيين. لا مزيد من الرجال الذين يريدونني من أجل الأسباب الخاطئة!».

بالإضافة إلى أن الزواج من اليوناني علمها أن رجال حوض المتوسط يفضلون الفتيات الممتلئات الأجسام، وهي صفات لا يمكن لإليزابيث النحيلة أن تمتلكها.

اتجهت إلى المكتبة بشعرها الذهبي الباهت الناعم لأنها لم تكن تعلم أين سيأكلان الليلة، بما أن غرفة الطعام تحولت إلى غرفة رياضة. قالت لنفسها: عليك أن تكوني لطيفة ومشجعة ومثقفة ومفيدة، لكن هذا يجب أن يكون أقصى اهتمامك لا أكثر!

وصل كريستيان إلى المكتبة بعد قليل. كان يرتدي سروالاً داكناً وقميصاً من الحرير. بدا شعره الأسود مرتباً وعيناه الزرقاوان مذهلتين، لكنه لم يبدُ سعيداً، فكرت إليزابيث بهذا وهي تراقبه يدفع كرسيه نحو الغرفة.

- هل هناك من خطب؟

كانت تقف بالقرب من الباب لأنها لم تعرف إلى أين تذهب، ولم تشعر بالراحة من الجلوس. إنه المكان الذي يلجأ إليه كريستيان، والذي يمضي فيه

معظم أوقاته.

- الآن بعد أن أصبحت أرغب بالمشي لم أعد أريد استخدام الكرسي.

- لكنك لا تستطيع التخلي عن استخدامها فجأة... إلا أنني أراهن أنك حاولت.

- أعتقد أنك محقة، لكن بما أنني وقفت قليلاً فهذا يعني أن بإمكاني السير.

- سوف تفعل. سيتطلب ذلك القليل من الوقت، لكن نظراً إلى التصميم الذي تتحلى به لن يمضي وقت طويل قبل أن تفعل.

ظهر بانو عند الباب، ودعاهما لتناول العشاء. تبعاه لمسافة قصيرة عبر القاعة نحو غرفة ذات سقف يحمل رسومات بالألوان الأحمر والأزرق والأخضر والذهبي، تعود إلى العصر الحديث، أما الأرض فغطتها سجادة حمراء كبيرة، وفي وسط السجادة هناك طاولة مع كرسيين خشبيين. أضيئت شمعتان كبيرتان في وسطها وفي أماكن مخصصة للشموع على الجدران.

قالت إليزابيث وهي تشعر أنها تبدو سخيفة بتلك التنورة الرمادية وزركشاتها المخملية: «المكان جميل هنا. الألوان واللوحات الفنية مذهلة. إنه السقف الأساسي، أليس كذلك؟».

من المفترض أن ترتدي ثياباً أنيقة إلى مكان مماثل.

- حرصت على المحافظة عليه.

- هل المبنى قديم جداً؟

- يعود بناء البرج إلى القرن السادس عشر، أما هذا المكان وهو المبنى الرئيسي من القلعة فقد بني في القرن السابع عشر.

أخذ كريستيان نفساً، ثم أضاف بعد لحظة: «بالرغم من أنني لا أرى ما هو حولي، إلا أنني أشعر بالجدران القديمة والأسقف المقوسة».

- هذا جيد.

شعرت بانقباض في صدرها. تمكنت من فهم السبب الذي يجعله يحب هذا المكان. إنه يتمتع بجو مختلف، لكنه منعزل جداً عن الخارج، لذا شعرت

بالقلق لأن كريستيان لا يحظى بما يكفي من التواصل بالحياة الخارجية. إنه بحاجة إلى تحفيز وتفاعل. إنه يحتاج إلى الحياة!

لكنه لايزال يتعافى! ذكرت نفسها وهما يجلسان إلى الطاولة. منذ عام فقد كريستيان شقيقه وابن عمه وعدداً من أصدقائه. أصيب بجروح خطيرة بعد أن تحطمت طائرته وهو يحاول العثور على ناجين، وفقد بصره بسبب الضغط الكبير على رأسه. حين تفكر إليزابيث بالأمر، يلزمها برهة كي تستوعب الخسارة الكبيرة التي واجهها في يوم واحد.

قدمت مدبرة المنزل الطعام، وظل بانو بجانب كريستيان طيلة الوقت مستعداً لتقديم المساعدة في أي لحظة، لكن كريستيان طلب منه المغادرة قائلاً: «ستتدبر أمرنا بمفردنا».

أمسك بزجاجة العصير، ثم سألها: «هل تسمحين لي بتقديم الشراب لك بنفسي أيتها الممرضة هاتشت؟».

ظهر المزاح في نبرة صوته، لكن تعابيره هي التي جعلت نبضات قلبها تتسارع. بدا صبيانياً جداً، ما جردها من جميع أسلحتها.

وافقته قائلة: «كما تريد».

ضحك كريستيان، وبحذر تمكن من الوصول إلى كوبها. فتح الزجاجة، وسكب السائل بهدوء وهو يصغي بروية إلى الصوت. سألها وهو يشير إلى الكوب: «كيف يبدو ذلك؟ أهو قليل أم كثير؟».

- إنه مناسب.

قام بسكب كوب لنفسه قبل أن يجد بقعة خالية على الطاولة ليضع الزجاجة فيها.

تم تقديم الطبق الثاني بعد قليل، وبدا كريستيان يقظاً جداً أثناء العشاء. سألها بضعة أسئلة عن عملها وعن سفرها ومعرفتها باليونان، فأجابته إليزابيث بحذر متجنبة الحديث عن زواجها: «في فترة من الفترات أمضيت وقتاً طويلاً في اليونان».

استفسر كريستيان: «أتقصدين عطلة الطلاب الجامعيين؟».

كشرت إليزابيث، وقالت: «الجميع يحب اليونان».

- ما أكثر شيء تحبينه هنا؟

حضر الكثير من الأفكار إلى ذهنها في تلك اللحظة: المياه، الناس، الطقس، الطعام، الشواطئ والدفء. لكن اليونان سببت لها الألم أيضاً، كما انقلب الكثير من الأشخاص هنا ضدها بعد طلاقها. حتى الأصدقاء... الأصدقاء المقربون تركوها بين ليلة وضحاها.

شعرت بغصة في حلقها، وطرفت بعينيها كي تمنع دموعها من التساقط. قالت لنفسها: حصل ذلك منذ زمن بعيد... مضت سبع سنوات! لا يمكنها أن تسمح لطلاقها بجعلها تكره البلد كله.

- أليس لديك جواب؟

ابتسمت وهي تمسح أي مظهر للحزن من صوتها: «أنا أحب كل شيء فيها. ماذا عنك؟ ما هو أكثر ما تحبه في بلدك؟».

فكر بالموضوع للحظة قبل أن يرفع رأسه ويقول: «الناس وحبهم للحياة».

ارتشفت رشفة من كوبها تاركة الشراب يستقر فوق لسانها لفترة قبل أن تبتلعه. عرفت من المعلومات المكتوبة على الزجاجة أنه شراب يوناني مصنوع من عدة أنواع من الفواكه المحلية، لكنه لم يكن يشبه الشراب اليوناني الذي اعتادت على تناوله مع ريكو.

- هل تعرف معلومات حول هذا الشراب؟

- نعم. إنه من إنتاج مصنع محلي قريب منا.

- لم أكن أدرك أن زراعة العنب مزدهرة هنا.

- هناك بساتين منتشرة في كل الأراضي اليونانية، كما أن أنواعاً شهيرة من الشراب اليوناني تأتي من ساموس وكريت.

حاولت عدم الإفراط بالضحك، إذ إن ريكو زوجها السابق كان من المتعجرفين المفتخرين بشرب تلك الأنواع.

سمع كريستيان همهمتها، فسألها: «ألا تعجبك؟».

www.elromancia.com

- لا، ليس تماماً. لكن، كان لدي... صديق يفضلها على سواها.

ألقى كريستيان ساعديه على الطاولة، وارتفعت زاوية فمه، فيما تغيرت معالم وجهه وهو يقول: «صديق...؟ أهو رجل؟».

أجابت إليزابيث بحذر: «نعم. إنه رجل».

- يوناني؟

- نعم.

ضحك كريستيان بنعومة، لكن التوتر بدا في صوته ما أشار إلى وجود خطب ما. قال: «الرجال اليونانيون يحبون التملك. أعتقد أن صديقك هذا أراد أكثر من الصداقة. أليس كذلك؟».

احمرت وجنتا إليزابيث وقالت: «إنها قصة طويلة».

- وهل انتهت بشكل سيء؟

ابتلعت ريقها وتساءلت لِما تحاول حماية ريكو، ثم قالت: «نعم. هذا ما حدث».

- هل جعلك هذا تتخذين مواقف مسبقة من اليونانيين؟».

بدا عدم الثقة في صوتها وهي تقول: «لا».

- مني أنا؟

احمرت وجنتاها، ثم ضحكت وقالت: «ربما».

- إذاً، لهذا السبب كنت أحصل على ممرضات مصارعات للثيران؟

ضحكت إليزابيث مجدداً. إنه يسليها. لو لم يكن مريضها لاعترفت حتى إنها تجده جذاباً.

- أتقول إنك لم تكن تستحق مصارعات الثيران اللواتي أرسلتهن لك؟

- أنا أحاول أن أقول لك إنني لست كغيري من الرجال اليونانيين.

حبست أنفاسها بداخلها، واتسعت عيناها. بطريقة ما، غيّر كريستيان بتلك الكلمات كل شيء. غيّر المزاج والسهرة والعشاء نفسه. شحن الغرفة بطاقة كهربائية لا تحتمل. شعرت بتوتر حاد جعلها تدرك أنها بمفرده معه.

- لا يمكنك أن تحكمي على الرجال اليونانيين بسبب ذكرى واحدة

مؤلمة.

شعرت إليزابيث أنها بالكاد تستطيع التنفس. حاربت كي تجد موضوعاً أكثر أماناً لتتحدث عنه.

- هذه الغرفة والأواني الموضوعة على المائدة تظهر أنك تتمتع بذوق رفيع!

- أنا أحب اقتناء العديد من الأشياء. لدي في القبو أواني لا يزيد ثمنها عن العشرة يورو، وهي بنظري أكثر أهمية من تلك التي يبلغ ثمنها ثمانين يورو.

- إذاً، المسألة ليست بالسعر.

- العديد من الناس يتعلقون بالأسماء والماركات ويودون إبهار الآخرين بمعرفتهم ويقدرتهم على الإنفاق.

إنه يحب هذه الغرفة وهو يستمتع بتناول الطعام. بالرغم من أنه لا يرى لكنه قدر اللمسات الصغيرة التي قام بها بانو وآنا مدبرة المنزل كتدفئة المكان ووجود الشموع المعطرة. كما علم أنهما يتناولان الطعام بأطباقه المفضلة..

- نحن نتكلم عن المقتنيات، أليس كذلك؟

رفع رأسه كأنه ينظر إليها ويتفحصها، وقال: «هل تشكين في ذلك؟».

عضت إليزابيث شفتها واحمرت وجنتاها. إنها بحاجة إلى شيء يحول تفكيرها عن كريستيان ومظهره الرائع. تمكنت من استيعاب الأسباب التي جعلت كاليستا تنجذب إليه. لكن أن تهدده وتحاول ابتزازه... هذا مستحيل! بالرغم من أنه أعمى ومليء بالجروح والندوب، لكنه قوي ويملك سلطة كبيرة. لاشك أن كاليستا غبية جداً. لم تتمالك إليزابيث نفسها فراحت تضحك من الفكرة، ثم تحول ضحكها إلى قهقهة. وضعت يدها فوق فمها لتحاول التخفيف من حدة صوتها وقالت: «بماذا كانت كاليستا تفكر؟ كيف اعتقدت فتاة مثلها أن بإمكانها ابتزازك؟».

جلس كريستيان قبالة إليزابيث وهو يسمع ضحكها. مضى وقت طويل لم يسمع خلاله ضحكاً دافئاً وحقيقياً. جعلته إليزابيث في يوم واحد يدرك كم

www.elromancia.com

تفوته من الأمور في الحياة.

انزعج في البداية من تصرفها السلطوي، لكن ذلك نفعه. أدرك أنه لا يحتاج إلى شخص آخر كي يعطيه الأوامر، وأن لا سبب يمنعه من تحفيز نفسه بنفسه على التحسن. بالرغم من أنه ما زال يشك بنوايا كوسيما، إلا أنه شعر بالامتنان لها لأنها تدخلت. إنه بحاجة إلى شخص مثل اليزابيث. وربما هي بحاجة أيضاً إلى شخص مثله...

ركز كريستيان على المكان الذي تخيل أنها تجلس فيه. تمنى لو أنها تعرف أنه حتى لو لم يكن يراها لكنه يصغي جيداً ويعطي انتباهه لما تقوله.

بدأت آنا بأخذ الصحون، فقالت إليزابيث: «لماذا أصبحت صامتاً؟».

- أنا أشعر بالارتياح.

هو يشعر فعلاً بالارتياح! مرت شهور طويلة لم يختبر خلالها مثل هذا السلام وهذا الهدوء.

- أنا سعيدة بذلك.

الدفء والصدق البادیان في صوتها تغلغلا بداخله. أحب كريستيان صوتها منذ اللحظة الأولى حين أصرت على مناداته «السيد كومنتاروس». بالاضافة إلى أنه أحب عطرها، لكنه لم يعرف بعد ما هو. بالرغم من أنه يستطيع معرفة كل أنواع العطور التي كانت تستخدمها مصارعات الثيران اللواتي أتين قبلها: الكلور ومطهر الجروح والنعناع والسجائر، أما الرائحة الأكثر إزعاجاً والتي يستحيل أن ينساها فهي رائحة الورد المحلي لمرطب اليدين.

حتى إن إليزابيث تمشي بطريقة مختلفة عن مصارعات الثيران، فخطواتها ثابتة وواثقة. حتى إنه تمكن من تخيلها وهي تسير عبر متجر مزدحم في لندن وهي واثقة من خطواتها.

ابتسم قليلاً وقد أعجبته فكرة تخيلها في لندن حيث تعيش. تمنى لو أنه يستطيع رؤيتها، وفجأة تساءل إن كانت تشعر بالملل..

مع مرور الوقت ازداد توتر كريستيان...

بعدئذٍ سمع كرسي إليزابيث يتحرك إلى الخلف، كما سمع صوت فوطتها وهي تضعها على الطاولة؛ إنها ترحل!

اصطكت أسنانه، وكافح كي يقف على قدميه. إنها المرة الثانية اليوم، وهذا يتطلب جهداً كبيراً. لكن إليزابيث سترحل، وهو يريد أن يقول شيئاً. أراد أن يدعوها لتبقى وتنضم إليه في المكتبة. ربما هي مرهقة، أما بالنسبة إليه فالليل طويل ولا ينتهي في بعض الأحيان. لم يعد هناك فرق لديه بين الليل والنهار. وقف على قدميه، وأمسك الطاولة بأصابعه وقال: «هل أنت مرهقة؟».

بدا صوته فجأة مرتفعاً وقوياً. لم يقصد أن يبدو غليظاً، لكن عدم قدرته على قراءة مزاجها جعله يشعر بالسوء.

اعترفت له قائلة: «قليلاً».

أحنى كريستيان رأسه، وقال: «تصبحين على خير إذاً».

ترددت قليلاً، وتساءل كريستيان بما تراها تفكر. تمنى لو أنه يستطيع رؤية وجهها كي يعرف إن كانت الشفقة تظهر في عينيها أو الاستياء أو أي شيء آخر. هذا أسوأ ما في عدم تمكنه من الرؤية. إنه لا يستطيع قراءة الناس كما كان يفعل في الماضي.

قالت إليزابيث بنعومة: «تصبح على خير».

شد أصابعه فوق غطاء الطاولة الكتاني، وهز رأسه متمنياً ألا ترى خيبة أمله.

بعد لحظات من التردد سمع وقع خطواتها تبتعد...

جلس بهدوء في كرسيه المتحرك من جديد. شعر بشيء ينكسر بداخله، وفجأة بدأ يشعر بألم شديد. صرّ أسنانه بقوة. كيف أصبح وحيداً؟ حاول كتم الخسارة والوحدة لكنهما بقيا يسيطران على أفكاره. إنه يفتقد لأندرياس... شقيقه وآخر فرد من عائلته. توفي والداهما منذ بضع سنوات، ما جعل كريستيان وأندرياس يصبحان متقاربين أكثر مما كانا في السابق.

كان يجدر به إنقاذ أندرياس أولاً. ليته يستطيع العودة بالزمن وتغيير القرار الذي اتخذه!

لطالما اتخذ كريستيان القرارات... بعضها اتخذها تحت الضغط، وكلها تقريباً كانت موفقة بحيث كان ينساها بسرعة. إنه القرار الوحيد السيء الذي اتخذه ولن يستطيع محوه. إنه االقرار الوحيد الذي يلازمه ليلاً نهاراً!

دفع كرسيه بعيداً عن الطاولة، وببطء تحرك عبر الغرفة نحو المكتبة، الغرفة التي يمضي فيها معظم ساعات النهار. ربما بإمكان بانو أن يجد له شيئاً يسمعه على الراديو أو ربما يجد كتاباً صوتياً بإمكانه الاستماع إليه. أراد كريستيان أي شيء يشغل باله به.

حالما وصل إلى المكتبة توقف عن الدفع وجلس بالقرب من طاولته بجانب كتبه وأوراقه. إنه لا يريد الراديو ولا الكتاب المسجل، يريد فقط أن يكون هو من جديد. إنه يفتقد لما كان عليه، وهو يكره ما أصبح عليه الآن.

* * *

قالت إليزابيث بخجل: «كريستيان؟».

قوّم كريستيان ظهره، وأجاب: «نعم!».

- أنت هنا إذاً؟

- نعم.

ظهر بعض التردد في صوتها وهي تقول: «آه! المكان مظلم. هل تمانع إن قمت بإضاءة النور؟».

- لا، بالطبع. أرجوك! أنا آسف. لم أعرف...

- بالطبع، أنت لا تعرف.

سمع خطواتها وهي تمشي بجانب الحائط لتضيء النور، ثم تقترب منه وتقول: «أنا لا أشعر فعلاً بالنعاس، وأتساءل إن كان هناك ما يمكنني أن أقرأه لك. الصحيفة أو البريد... أو ربما حتى كتابك المفضل».

شعر كريستيان على الفور بتلاشي التوتر والظلمة اللذين كانا يطبقان على صدره. أخرج نفساً عميقاً، وقال: «نعم. بالتأكيد هناك ما تقرأينه لي».

٧ - هي والوحش

تلك الليلة فتحت أمامهما مساراً تبعاه خلال الأسبوعين التاليين. خلال النهار كان كريستيان يتبع نظام تمارين خاص، وفي المساء يتناول العشاء مع إليزابيث، ثم يمضيان ساعة أو اثنتين في المكتبة حيث تقرأ له الكتب والصحف والنشرات المختصة برجال الأعمال التي يختارها بنفسه.

أدهشها تحسن كريستيان، ولو لم تكن هناك لتشهد بعينيها هذا التغيير لما صدقت.

خلال هذين الأسبوعين، كان كريستيان يتوجه مرتين في اليوم إلى غرفة الطعام الواسعة التي تحولت إلى غرفة إعادة تأهيل. منذ أشهر تغيرت غرفة الطعام الفخمة، فلفت سجاداتها الباهظة الثمن، وأبعد فرشها الأنيق، ووضعت فيها مجموعة من الآلات المساعدة على التمارين ملأت المكان كله. بقيت النوافذ التسع المطلة على الحديقة والوادي دائماً مفتوحة، وأمضى كريستيان ساعات طويلة في تلك الغرفة.

وصل المدرب الرياضي بيرو من سبارتا بعد يومين من وصول إليزابيث. سوف يقوم بتدريب كريستيان خلال الأسابيع المقبلة، على أن يذهب إلى سبارتا لقضاء عطل نهاية الأسبوع مع زوجته وأولاده.

بعد أن استقر بيرو بدا كأنه يقسو على كريستيان كثيراً. إنه مدرب الفريق اليوناني الذي شارك في الألعاب الأولمبية. درّب بيرو الكثير من الرياضيين العالميين المميزين، وها هو يعامل كريستيان بالطريقة نفسها. في الأيام الأولى قام كريستيان بالكثير من حركات الليونة والرياضات التي تساعد على تقوية الجسم باستخدام الكرات المطاطية. مع نهاية الأسبوع

www.elromancia.com

أصبح بإمكانه أن يقطع مسافة أطول في السباحة ويزيد أوزان الأثقال التي يتدرب على حملها. أما في نهاية الأسبوع الثاني فأصبح يستخدم آلات المشي والركض لمسافات قصيرة أيضاً.

منذ البداية عرفت إليزابيث أن كريستيان سيتمكن من السير على قدميه من جديد، لكنها لم تتوقع أن يقوم بذلك خلال خمسة عشر يوماً فقط.

مرت إليزابيث على غرفة التدريب يوم الجمعة في بداية فترة ما بعد الظهر، فرأت بيرو يعطيه تعليمات تتعلق باليومين القادمين ليتمرن أثناء غيابه في سبارتا. شعرت بالدهشة لرؤية كريستيان يركض على آلة منحنية قليلاً.

رآها بيرو وهي تدخل، فاقترب كي يتحدث معها: «مرحباً! كيف الحال؟».

ابتسمت قبل أن تشير نحو كريستيان وتقول: «بخير. أليس ذلك تمريناً قاسياً بعض الشيء؟ كان بالكاد يستطيع الوقوف على قدميه منذ أسبوعين. ألن يضره الركض؟».

نظر من فوق كتفه كي يراقب كريستيان وهو يتمرن، وقال: «إنه بالكاد يركض. هل لاحظت درجة الانحناء؟ إنه تمرين مفيد، وفيه نقلة نوعية له. نحن نعمل على زيادة الصعوبة، لكن ذلك سيساعده على تقوية عضلات رجليه».

لم تستطع إليزابيث إلا أن تلاحظ الانحناء الكبير للآلة. كان كريستيان يركض ببطء لكن من دون أي مساعدة ورأسه مرفوع ونظراته مثبتة إلى الأمام. وبالرغم من أن العرق كان يتصبب منه ووجنتاه تشتعلان من الحرارة والاحمرار، لكنه لم يبدُ يوماً بحال أفضل أو أقوى.

اقتربت إليزابيث من الآلة وحدقت نحو الشاشة. بدت دقات قلبه بطيئة، فالتفتت نحو بيرو وقالت: «أأنت متأكد أنها فعلاً ليست قاسية؟».

أرادت أن يتحسن فعلاً، لكنها خشيت أن يستسلم ويتعب قبل أن يصل إلى النتيجة التي يطلبها.

- قاسية؟ أنت لا تعرفين كريستيان جيداً. أليس كذلك؟ إنه ليس رجلاً عادياً. إنه وحش.

وحش؟!

بقيت كلمة بيرو تدور في رأسها بينما استدارت لتغادر الغرفة كي تسمح لكريستيان بمتابعة تمريناته. إنها الكلمة نفسها التي استخدمها كريستيان في المرة الأولى التي قابلته فيها، يوم مزق الضمادات عن عينيه ليريها وجهه: وحش، فرنكشتاين! لكن خلال الأسبوعين الماضيين أثبت لها أنه بعيد كل البعد عن هاتين الصفتين، وأنه بطل أكثر مما يظن نفسه. قريباً سيعود إلى أثينا حيث تنتظره امرأة تحبه وحياة جديدة. من الواضح أنه سيتزوج كوسيما في النهاية، وسيحظى بأولاد، ويعيش حياة طويلة وسعيدة.

عندما فكرت إليزابيث بأنه سيعود إلى أثينا شعرت بثقل في صدرها، أما فكرة زواجه من كوسيما فزادت من حدة ذلك الثقل. لكن هذا هو سبب وجودها هنا، ذكرت نفسها بذلك وهي تبتلع ريقها بصعوبة وتشعر بألم في حنجرتها. هي جاءت إلى هنا لتجعل كريستيان يستعد للعودة إلى الحياة التي تركها خلفه فقط، والآن ها هو مستعد للعودة. بإمكانها رؤية ذلك حتى لو لم يستطع هو رؤيته.

اشتد الألم في حنجرتها ما جعل عيناها تكاد تمتلئ بالدموع. ما الذي فعله بها كريستيان الثري اليوناني؟ لم تتوقع إليزابيث أن تشعر بهذه الطريقة تجاهه، لكنه أدهشها وأثر بها ولامس قلبها بسبب شجاعته ومشاعره الصادقة، وحتى بوجود لحظات الضعف وعدم الثقة أحياناً. جعلها تشعر بالكثير من الأحاسيس. لكن أكثر ما شعرت به هو الحنان والأمل والتجدد.

سألها بيرو وهو يعيد انتباهه لكريستيان: «هل أوصل له أي رسالة منك؟».

نظرت إليزابيث نحو كريستيان، ذلك الرجل العملاق الذي يفاجئها في كل خطوة يقوم بها، وأخذ قلبها يقفز بقوة. إنه وسيم جداً، وتلك الندوب

على وجهه جعلته يبدو أكثر واقعية وأكثر وسامة. تمتمت قائلة: «لا! لا رسالة. سأراه عند العشاء».

خرجت إليزابيث إلى الحديقة. تساءلت إن كانت تملك الشجاعة للمغادرة. عليها أن ترحل، فقد أصبحت متعلقة به كثيراً. وضعت يداً فوق صدرها وهي تحاول منع تزايد الألم في داخلها.

ذكرت نفسها قائلة: لا تفكري بنفسك... فكري به. فكري بحاجاته وبالفرح الذي يشعر به لقدرته على القيام بكل تلك الأمور بمفرده من جديد. فكري بقدرته على العيش بشكل مستقل في القريب العاجل. إلّا أنها مع ذلك شعرت بالحزن في داخلها يتزايد. بدت ثقته بنفسه مذهلة. لا يمكن لأحد أن يكتشف أنه لا يرى وهو يدخل غرفة ما أو حين يحاول التعامل مع وضع معين بنفسه.

لطالما لاحظت أنه طويل. ربما يبلغ طوله الست أقدام أو أكثر، لكنها لم تشعر بتأثير حجمه إلا بعد أن رأته يمشي. بدل أن يتعثر أو يتردد بدأ كريستيان بالمشي بثقة الرجل الذي يعرف ما يريده.

ظهرت ابتسامة على زاوية فمها وهي تسير عبر الحديقة المليئة بالنباتات القصيرة العطرة وبصفوف من الأشجار. توقفت فوق جدار صخري يطل على الوادي، وتنشقت رائحة الصنوبر وزهور الليمون وهي تراقب المسافات البعيدة عبر سهل ميسيليان الممتد أمامها.

خلف السهل ظهر البحر الذي تمتد أمامه أجمل الشواطئ والموانئ. صحيح أن إليزابيث لم تخطط للعودة إلى اليونان، لكن بما أنها هنا اليوم فهي تشعر برغبة شديدة بقضاء يوم على الشاطئ مستمتعة بمياه البحر. ما من شيء أفضل من اليوم الذي يمضيه المرء وهو يستمتع بجمال شمس اليونان وبحرها...

- إليزابيث!

سمعت أحدهم ينادي اسمها، فالتفتت لترى كريستيان يتجه نحوها وهو يمشي عبر الحديقة مستخدماً عصا طويلة. في البداية لم يكن يرغب

باستخدامها قائلاً إنها تظهر بوضوح أنه أعمى، لكن ما إن تمكن من السير من جديد حتى عوّد نفسه عليها. بدت خطواته كبيرة وعدائية تقريباً.

- كريستيان! أنا هنا، عند الجدار المطل على الوادي.

لم يستغرقه الوصول إليها وقتاً طويلاً. كان لايزال يرتدي القميص البيضاء ذات الكمين القصيرين مع السروال الرمادي الواسع. إنها الثياب التي يرتديها أثناء القيام بالتمارين. راقبت نظراتها وجهه بتمعن وهي تبحث عن تعابير تظهر إرهاقه، لكنها لم تجد ما تبحث عنه. بدا بأفضل حال، كما بدا سعيداً أكثر من ذي قبل.

- قمت بتمارين منهكة.

- إنها صعبة، لكنها تبدو جيدة.

- أنت تشعر... أنك بخير. أليس كذلك؟

التمعت أسنانه البيضاء، والتمع البريق في عينيه وهو يقول: «أشعر أنني بأفضل حال».

بدأ قلبها يدق بسرعة هائلة من جديد وهي تشعر بانجذاب مؤلم تجاهه فيه مزيج من الاعجاب والحزن. إنه ليس لها، ولن يكون يوماً. كل ما بإمكانها فعله هو مراقبة إحدى جلسات العلاج الفيزيائي الخاصة به لتراه يتعافى من أجل كوسيما. بالرغم من إحساسها بالألم علمت أنه تجدر بها العودة قريباً إلى مكتبها والغرق من جديد في الواجبات الإدارية المطلوبة منها.

- ذهبت إلى غرفة التمرين منذ قليل. أليس كذلك؟ هل كل شيء على ما يرام؟

أخذ النسيم الناعم يتلاعب بخصلات شعرها، فأمسكت خصلة وأرجعتها إلى الخلف قائلة: «أردت أن أسأل بييرو أن كانت هناك أي تعليمات يريدني أن أتبعها معك خلال عطلة نهاية الأسبوع».

- وهل لديه تعليمات معينة؟

- لا.

- هذا يعني أن أمامنا عطلة نهاية أسبوع حرة لا جداول عمل فيها.

- ألديك مشاريع أخرى تود القيام بها؟

قالت ذلك بهدف المزاح معه. هي تعرف الروتين الذي يعيش فيه، وهو قلما يقوم بالتغييرات.

اعترف قائلاً: «أنا أتطلع بحماس للعشاء».

- يبدو هذا مشوقاً!

ارتفعت زاوية فمه لتظهر ابتسامة صغيرة، وأصبحت تعابيره القاسية أكثر ليونة بسبب الطريقة التي سخرت بها منه، ثم قال: «هل تسخرين مني؟».

- أنا؟ لا، أبداً. أنت السيد كومنتاروس أحد الرجال اليونانيين الأكثر نفوذاً. كيف بإمكاني أن أسخر منك؟

أصبحت ابتسامته أكبر وهو يقول: «بإمكانك فعل ذلك. في الواقع سبق أن فعلت».

- سيد كومنتاروس، لابد أنك تخلط بيني وبين شخص آخر.

- همم... همم!

- أنا مجرد ممرضة بسيطة. أقدم لك خدماتي كي تصبح بصحة جيدة.

- أحقاً؟

- بالطبع! ألم أقنعك بعد بنيّتي؟

أرادت إليزابيث أن تتابع الكلام بطريقة فكاهية، لكن هذه المرة خرجت الكلمات بشكل مختلف تماماً، إذ خانها صوتها وأظهر مشاعرها الصادقة التي لم تكن تريده يوماً أن يكتشفها. لذا بدلاً من أن يجيبها، اقترب كريستيان منها ولمس وجهها. هزتها اللمسة غير المتوقعة، فتراجعت إلى الخلف، لكن أصابعه لحقت بها فوضع كفه بأكمله فوق وجنتها. ارتجفت إليزابيث وقد شعرت بالحرارة تتفجر في داخلها.

اعترضت قائلة: «كريستيان!».

لكن المزيد من الحرارة تدفق بداخلها... المزيد من الدفء، بالإضافة إلى مشاعر أكثر خطورة. حاولت بمجهود كبير أن تتخطى هذه المشاعر،

وهي تعلم أنها لن تستطيع منع نفسها من الانجذاب إليه. همست قائلة: «لا!».

ضمت يدها في قبضة مؤلمة كي تمنع نفسها من لمس وجهه الوسيم. أرادت أن تلمس شعره الأسود الداكن ووجهه المغطى بالندوب وعينيه اللتين لا يمكنه أن يرى بهما...

بدأت تتكلم محاولة أن تخرق بكلامها الدائرة المغنطيسية التي لفتهما: «قمت خلال الأسبوعين الماضيين بإنجازات ضخمة، وتخطيت مرحلة كبيرة. أنت لا تعرف كم أشعر بالفخر بك وكم أقدر إنجازاتك».

- يبدو لي هذا كخطاب وداع.

- إنه ليس كذلك، لكن في الواقع، علي أن أغادر قريباً. أصبح بإمكانك الاعتماد على نفسك، وفي وقت قريب ستتمكن من العودة إلى حياتك في أثينا.

- أستطيع إكمال عملي من هنا.

- وعائلتك...؟

- لقد رحلت عائلتي.

شعرت إليزابيث بأن التوتر بينهما أخذ يزيد. فقالت بسرعة وحزم: «وأصدقاؤك؟ لديك العديد من الأصدقاء كريستيان. هناك الكثير من الأشخاص الذين يفتقدونك والذين يريدونك أن تعود إلى حيث تنتمي».

ومن بينهم كوسيما، بالطبع!

أحنى كريستيان رأسه، ووقف بقامته الطويلة بصمت، ثم قطب حاجبيه وشد فمه. بعدئذٍ حرك رأسه من جديد نحوها، وقال: «متى؟».

- متى... ماذا؟

- متى تنوين الرحيل؟

هزت إليزابيث كتفيها بعدم ارتياح، ثم قالت: «قريبا».

أخذت نفساً عميقاً، وأضافت: «أقرب مما توقعت».

- ومتى سيكون ذلك؟ الأسبوع القادم؟ الأسبوع الذي يليه؟

حركت أصابعها قائلة: «دعنا نتكلم عن هذا لاحقاً».

- هل سترحلين قريباً جداً؟

هزت رأسها، فتابع يسألها: «لماذا؟».

- إنه العمل. لدي مشكلة في باريس، وقد ضاقت المديرة المسؤولة ذرعاً، وهددت بترك العمل. لا يمكنني تحمل خسارتها الآن. لذا أحتاج إلى السفر إلى باريس لأحاول حل المشكلة بأقرب وقت ممكن.

- متى سيحدث هذا؟ متى تنوين الرحيل؟

ترددت إليزابيث، وعاد الألم إلى حنجرتها من جديد ما جعل من المستحيل عليها أن تتنفس بسهولة. قالت: «يوم الاثنين. عندما يعود بيير».

وقف كريستيان هناك بصمت غريب، فيما تابعت إليزابيث تقول: «سبق أن اتصلت بكوسيما. أخبرتها أنني قمت بكل ما يمكنني فعله، وأن من الخطأ أن أستمر بأخذ المال منها».

لم تقل إنها طلبت من مكتبها في لندن إعادة المال الذي سبق أن دفعته لها، لأن كريستيان هو من قام بالعمل كله لا هي. إنها معجزة كريستيان لنفسه!

قال كريستيان وقد بدا صوته قوياً وحاداً: «الاثنين يبعد بضعة أيام فقط».

- أعلم أنه أمر مفاجئ.

أخذت نفساً عميقاً وهي تشعر بندم شديد. تمنت لو أنها اقتربت لتلمسه كي تهون الأمور عليه، لكن هذا ليس مكانها. هناك حدود لا تستطيع أن تتخطاها. تابعت تقول: «تعلم أنك لم تعد تحتاجني كريستيان. أنا فقط أقف في طريق...».

- لا!

- بلى! لكن عليك أن تعلم أنني أدين لك بالكثير. قلت لي إنك ستتمكن من السير خلال أسبوعين وأنا قلت لك إنك لن تستطيع القيام بهذا. لقد جعلت مني شخصاً مؤمناً أكثر.

ضحكت وهي تسترجع ذكريات اليومين الأولين هنا.

بقي كريستيان صامتاً لمدة طويلة، ثم هز رأسه وقال بصوت يكاد لا يسمع: «أتمنى لو أن بإمكاني فعلاً أن أجعل منك شخصاً مؤمناً أكثر».

حاولت إظهار جو مبهج مصطنع وهي تقول: «لا يزال أمامنا ثلاثة أيام حتى الاثنين. هل علينا أن نفكر بالاثنين منذ الآن؟ ألا يمكننا التفكير بشيء آخر؟ خدعة ما نلعبها مع رجل كفيف مثلاً؟».

اشتد فك كريستيان ثم استرخى قليلاً، وضحك قائلاً: «أنت امرأة فظيعة».

أجابت إليزابيث بحس من الفكاهة: «نعم... أعرف».

- وتحبين التحدي كراتشيت.

- سأعتبر هذا مديحاً.

- إذاً، أنت مخطئة.

ابتسمت إليزابيث. هي تشعر بالفرح عندما يمازحها ويقوم بهذه الألاعيب معها. منذ لحظات كانت تشعر بخيبة أمل قوية، لكنها أصبحت شجاعة وإيجابية أكثر الآن. إنها تحب رفقته. الأمر بهذه البساطة. إنه ذكي ومنمق وجذاب ومسلٍ، وحالما قرر العودة إلى الحياة من جديد فعل ذلك بعزم وإرادة.

قال كريستيان: «لست واثقاً من الوقت بالضبط، لكنني أتوقع أن تكون الخامسة تقريباً. أليس كذلك؟».

نظرت إليزابيث إلى ساعتها الفضية، وقالت: «إنها الخامسة وعشر دقائق».

- لدي بعض المخططات من أجل العشاء. سأذهب لأرتدي ملابسي الآن. هل بإمكانك أن تكوني جاهزة عند الساعة السادسة؟

- أتعني من أجل العشاء هنا؟

- لا.

- هل سنخرج؟

نظرت بسرعة نحو الوادي البعيد تحتهما والمنحدر الكبير فوقه. بالطبع يقوم بيرو بالسفر عبره مرتين في الأسبوع للعمل مع كريستيان، لكنها لم تستطع أن تتخيل مقدرة كريستيان على ركوب ظهر الحمار أو العربة للنزول عبره.

لم تتغير تعابير وجهه وهو يقول: «هل هذه مشكلة؟».

- لا.

لكنها فكرت أنها مشكلة بالفعل! أين يعقل أن يذهبا لتناول العشاء؟ سيلزمهما ساعة تقريباً كي ينزلا الجبل، وسيحل الظلام قريباً. ربما كريستيان لا يفكر بذلك لأن الظلام يحيط به دائماً. سمع كريستيان التردد في صوت إليزابيث، فشعر بالتوتر وأصبحت تعابير وجهه قاسية. انزعج لعدم قدرته على رؤيتها لا سيما في وقت كهذا.

لماذا تراها لا تشعر بالحماس من أجل العشاء؟ أتراها لا تريد البقاء برفقته، أم أنها غاضبة منه لسبب ما؟ فقط لو أنه يستطيع رؤية وجهها كي يقرأ تعابيرها ويفهم سبب ترددها! شعر أنه يدور في دوامة من الظلام. إنه يكره الشعور بالارتباك، فهو رجل حازم، لكن كل شيء يبدو مختلفاً الآن وأصعب مما كان عليه في السابق. عالمه بأكمله غارق في الظلام، والكوابيس تطارده بشكل مستمر. وأسوأ ما في الأمر هو أنه لا يستطيع التخلص منها.

- إن كنت تفضلين عدم الذهاب...

أصبح صوته بارداً وبعيداً. لا يمكنه أن يلومها إن كانت لا تريد أن تمضي المساء لوحدها برفقته. بالرغم من قولها له إنه لا يشبه فرانكشتاين، لكن الندوب على وجهه بدت كثيفة وذات حوافٍ نافرة، وكأن وجهه عبارة عن قطع مختلفة ركبت مع بعضها.

- لا، كريستيان. لا! ليس هذا ما في الأمر أبداً.

لمست يدها ذراعه قليلاً قبل أن تبعدها من جديد، لكن تلك اللمسة الخفيفة بدت كافية. لقد أدفأته وأنشأت رابطاً بينهما. جعلته يشعر أنه

إنسان حقيقي.

- أحب الخروج معك، لكنني فقط لست واثقة مما سأرتديه. هل هناك نمط معين من الثياب؟ أهي ثياب عادية أم أنيقة؟ ما الذي سترتديه أنت؟

ضغط بعصاه على الأرض وقد شعر برغبة ملحة للمسها. تألم جسده وتقلصت عضلات صدره حول قلبه. بدا صوته خشناً وهو يقول: «أنا سأرتدي بذلة رسمية، أما أنت فعليك أن ترتدي ثياباً مريحة. قد تكون ليلة طويلة».

* * *

شعرت إليزابيث في غرفتها كأنها تدور في دوائر فارغة؛ سيخرجان معاً، وقد تكون ليلة طويلة. إذاً، إلى أين سيذهبان؟

شعرت بتقلص في معدتها وهي تستحم وتقوم بتنشيف جسمها. إنه أمر سخيف! من الغباء أن تشعر بهذه الطريقة، لكن لم تستطع إليزابيث إلا أن تشعر بالحماس.

علمت أن كريستيان لن يرتدي ثياباً عملية فراحت تبحث بين ثيابها في الخزانة حتى قررت في النهاية أنها سترتدي الفستان الوحيد الذي أحضرته معها. إنه فستان أسود متوسط الطول مع شريط يربط كالحزام عند الخصر.

وقفت أمام المرآة، ونشفت شعرها المبلل. صارعت كي تحافظ على توازن مشاعرها المضطربة. ذكرت نفسها: أنت ممرضته فقط... لست أكثر من ذلك. لكن عينيها المشعتين ودقات قلبها المتسارعة لم تسمعا ذلك التنبيه.

بدا شعرها لامعاً فقررت أن تتركه منسدلاً على كتفيها، إلّا أنها خشيت ألّا تبدو محترفة. في النهاية قررت أن ترفعه بعد أن فصلته إلى قسمين ولفتهما على بعضهما إلى الأعلى عند مؤخرة رأسها، ثم سحبت بضع خصل كي تتدلى على جانبي وجهها إلى الأمام.

حملت وشاحاً حريرياً أسود وحقيبتها الصغيرة، ثم اتجهت إلى المكتبة. بينما مشت عبر الردهة الأساسية سمعت صوتاً ما. صوت هدير أخذ يرتفع

فجأة إلى أن أصبح مصدره من الأعلى وارتجاجه يملأ المكان. فجأة توقف الصوت وعاد كل شيء إلى سكونه السابق.

اكتشفت إليزابيث أن كريستيان سبقها إلى المكتبة، وهو ينتظرها.

لقد استحم أيضاً وارتدى ملابسه، إنه الآن يلبس سروالاً أسود مع قميص بيضاء وحزاماً جلدياً وحذاء جلدياً أسود أيضاً. بدا شعره الداكن مرتباً، وقد حلق ذقنه. لم تعتقد إليزابيث أنها التقت يوماً برجل وسيماً وكاملاً وقوياً مثله.

رفع يداه وسألها: «هل ثيابي غير مرتبة؟».

- لا.

أخذ قلبها يخفق بسرعة. يا إلهي، كم يبدو أنيقاً!

تحرك كريستيان نحوها فيما طوى عصاه تحت ذراعه، ثم سألها: «ما الذي ترتدينه، بالإضافة إلى أنك تنتعلين حذاء ذا كعبين عاليين؟».

- هل تستطيع أن تعرف ذلك من طريقة سيري؟

- همم... جذابة جداً.

احمرت وجنتا إليزابيث، وشعرت بالسعادة لأنه لا يستطيع رؤية الطريقة التي تنظر بها نحوه. إنها لا تعرف حتى ما الذي تحبه في وجهه أكثر من غيره.

قالت له بخجل: «أنا أرتدي فستاناً».

لم تشعر يوماً بخجل مماثل أمام رجل. لم تشعر بتأثير رجل عليها ولا حتى زوجها اليوناني السابق. تابعت تقول: «إنه من المخمل الأسود. وله شريط حريري على خصره. يذكرني بفساتين العام ١٩٢٠».

- لابد أنك تبدين ساحرة.

جلب كلامه ومشاعره الرقيقة العميقة الدموع إلى عينيها.

شعرت إليزابيث نحو كريستيان بأشياء لم تشعربها تجاه أي رجل على الاطلاق، فهو يبدو مختلفاً عن كل الرجال الذين عرفتهم خلال حياتها. لم تكن ثروته هي التي أعجبتها ولا مظهره، بالرغم من أن عليها الاعتراف أنه يرتدي ثياباً أنيقة، كما سمعت أنه تمكن من مضاعفة ثروة عائلته ثلاث مرات

عما كانت عليه. لكن إليزابيث تفضل الأشياء البسيطة؛ إنها تحب صوته وإصغاءه إليها عن قرب حين تتحدث إليه واختياره لكلماته...

- ليس بقدر ما تبدو أنت ساحراً.

- هل أنت مستعدة؟

- نعم.

مد كريستيان يده لها فأمسكت بها. بدا جسمه ضخماً جداً بجانب جسمها، كما بدا مليئاً بالدفء، وشعرت إليزابيث بعضلات ذراعه تحت ذراعها. اتجها معاً نحو القاعة الرئيسية حيث وقف بانو وهو جاهز لفتح البوابة الأمامية. توقف كريستيان عند المدخل قليلاً، ثم أخفض رأسه وهو ينظر نزولاً نحوها وقال: «المركبة تنتظر».

خطا خطوة أخرى إلى الأمام، وبعد قليل غادروا المنزل نحو الطائرة المروحية.

٨ - لست حبيبتك!

إنها حقاً طائرة مروحية!

أجفلت إليزابيث، ثم هزت رأسها ونظرت مجدداً وهي تفكر أنها ربما تتخيل الأمر. لكن لا!

- لطالما تساءلت كيف تتنقل عبر الجبال نزولاً وصعوداً. لم تبدُ لي من النوع الذي يستمتع برحلة فوق ظهر الحمار.

تغلغلت ضحكة كريستيان القوية بداخلها حين قال: «كان بإمكاني أن أرسل الطائرة لتقلك».

- لا، لا! كيف يعقل أن أفوت قضاء ساعات طويلة من التأرجح فوق عربة خشبية.

ضحك كريستيان مجدداً: «هل سبق أن ركبت المروحية من قبل؟».

- نعم. سبق أن فعلت، لكن منذ مدة طويلة.

في الواقع كانت لوالديها إمكانية استخدام الطائرة المروحية عندما كانوا في أميركا، لكن ذلك أصبح جزءاً من الماضي التي تحاول نسيانه.

أشار قائد الطائرة إلى أنه أصبح بإمكانهم الصعود إلى الطائرة بأمان. ساعدت إليزابيث كريستيان في الوصول إلى الباب، وحالما أصبحا في داخلها وجد كريستيان مقعده بسهولة وربط الحزام. بعد أن انطلقت الطائرة وتوجهت إلى الأعلى وهي تشق طريقها بين الجبال، تذكرت إليزابيث أن ندوب كريستيان وجراحه سببها تحطم المروحية.

التفتت نحوه لتنظر إلى وجهه وترى كيف يشعر. بدا شاحباً قليلاً أكثر مما كان في السابق، لكنه لم يعط أي انطباع آخر يوحي بأنه يعاني من قلق ما.

- تسبب حادث المروحية بمشاكل كبيرة لك.

- نعم. هذا ما حدث.

انتظرت قليلاً لترى إن كان سيضيف شيئاً إلى كلامه، لكنه لم يفعل. قالت: «ألا تشعر بالقلق من ركوب المروحية من جديد؟».

رفع كريستيان حاجبيه، وقال: «لا. أنا أعرف قائد الطائرة باني جيداً... جيداً جداً... سبق لي أن كنت قائد طائرة... في ما مضى».

- أنت كنت قائد طائرة؟

انخفض رأسه قليلاً، ثم قال ببطء: «نعم. كنت أحلق بالطائرة يوم وقوع الحادث».

آه! همست إليزابيث قائلة: «والآخرين؟».

- كانوا منتشرين في أماكن مختلفة.

انتظرت قليلاً، فتنهد كريستيان أخيراً وتململ، ثم أحنى كتفيه وقال: «فقط شخص واحد تمكن من متابعة التزلج إلى مكان أكثر انخفاضاً عبر الجبل... إنها كوسيما».

توقف قليلاً عن الكلام، ثم أخذ نفساً قصيراً وتابع يقول: «تم إنقاذ كوسيما والمرشد، وتم رصد مكان اثنين آخرين لكنهما كانا قد فارقا الحياة، فيما دفن اثنان آخران أيضاً تحت الردم الثلجي.

بدا بوضوح أنه ما زال من الصعب عليه التحدث عن الموضوع، لذا لم تطرح عليه إليزابيث المزيد من الأسئلة، لكنها شعرت بأن هناك الكثير الذي تود معرفته. أرادت أن تعرف إن كان قد تعرض للحادث لأنه عاد لينقذ أخاه، وكيف تمكن من رصد مكان كوسيما بسرعة ولم يتمكن من فعل ذلك مع أندرياس... بينما أخذت تفكر بالحادث التفتت نحو كريستيان. نعم، لقد تمكن من السير وأصبح جسده قوياً، لكن هل سيستطيع استرجاع نظره من جديد؟

في الواقع فكرت إليزابيث أن كريستيان سيتأقلم مع حالته، لكن ذلك لن يكون سهلاً، بل صعباً جداً... أصعب من أي وقت سابق. لكنها لم تكن

واثقة إن كانت كوسيما ستتقبل الأمر. أرادت هذه الأخيرة بيأس أن يعود كريستيان إلى حالته الطبيعية. هذه كانت كلمات كوسيما: «عليه أن يعود إلى حالته الطبيعية تماماً كما كان في السابق، وإلا فلن يقدّره أحد».

كيف ستشعر كوسيما إن لم يعد كريستيان إلى حالته السابقة؟

هل ستبقى على حبه؟ هل ستقدره؟

شعرت إليزابيث بالاضطراب. لفت وشاحها حول كتفيها، ونظرت من النافذة وهم يطيرون فوق شبه جزيرة بيلوبونيز. بدت الرحلة مذهلة في وقت الغروب. بالرغم من أنها عاشت في اليونان لمدة سنتين لكنها لم تزر يوماً بيلوبونيز، مع أنها المكان المفضل للسياح بسبب تنوع أراضيها والأماكن الأثرية العديدة فيها. عرفت ذلك من كريستيان خلال الأسبوعين الماضيين. فيما هي تتذكر ما أخبرها به لفتت انتباهها ثلاث أصابع من اليابسة ممتدة داخل البحر.

قال كريستيان فجأة ويده تلمس ركبتها بشكل عابر: «كدنا نصل».

أحست إليزابيث بتقلص في معدتها بعد أن شعرت بحرارة كفه. بالرغم من معرفتها أنه لايحق لها تشجيع كريستيان على التقرب منها، لكنها لم تستطع منع نفسها من التفكير بشدة في رغبتها في تحويل الأمر إلى واقع. ليته يحق لها التمتع بلمساته الدافئة بدلاً من كبتها لهذه المشاعر الصامتة والملحة. كل ما باستطاعتها فعله هو كبت تلك المشاعر والاحتفاظ بها في داخلها. عليها أن تتظاهر بأنها لم تقع في غرامه من رأسها حتى أخمص قدميها، لكن الأمر أصبح يعذبها ويصيبها بالجنون.

ما هي إلّا لحظات قليلة حتى هبطت الطائرة على الأرض.

بينما فتح قائد الطائرة الباب وساعدها هي وكريستيان على النزول رأت أضواء سيارة أمامهما تماماً. خرج سائق السيارة منها، وعندما اقترب أدركت أنه السائق الخاص بكريستيان.

غادرا المروحية إلى السيارة، وجلست إليزابيث في المقعد الجلدي المخصص للركاب فيما تضاعفت سرعة دقات قلبها. ومجدداً اقترب

كريستيان وجلس بجانبها.

سألته بينما تحركت السيارة بهما: «أين نحن؟».

- نحن في كيثيرا.

راحت تنظر إلى الرجل الجالس بجانبها؛ بدت رجله أطول بكثير من رجلها، فقد امتدت ركبته أمام ركبتها بمسافة ملحوظة.

- إنها جزيرة قريبة من بيلوبونيز. منذ سنوات عديدة قبل أن يتم بناء قناة كورينث في القرن التاسع عشر كانت هذه الجزيرة مزدهرة بسبب السفن التي تتوقف فيها. لكن بعد بناء القناة تضاءل عدد سكان الجزيرة وثرواتها أيضاً.

بينما سارت السيارة عبر الطرقات الهادئة دخلت الظلال عبر النوافذ بسبب النور الأصفر الداكن.

قال كريستيان فيما توجهت السيارة صعوداً عبر التلال المنحدرة: «أحب العيش في تايغتوس، لكن من حين إلى آخر أحب الذهاب إلى مكان مختلف لتناول العشاء والاستمتاع بوجبة لذيذة والخروج من العزلة».

التفتت لتنظر نحوه. لم تكن هناك أضواء على جانبي الطريق عبر الطرقات الجبلية، لذا لم تتمكن من رؤية وجهه جيداً، لكنها قالت: «إذاً، فأنت تشعر بالعزلة لأنك تعيش بعيداً عن الجميع أحياناً».

هز كتفيه، وقال: «أنا يوناني».

كشفت هاتان الكلمتان لها أكثر بكثير مما يعتقد. اليونانيون يحبون العائلة، ولديهم علاقات عائلية مترابطة. في اليونان من النادر أن يعيش كبار السن بمفردهم، ولا يقبل الوالد أبداً أن تتزوج ابنته من دون تقديم منزل لها أو أرض أو أي شيء يستطيع تقديمه، كما أن الابن اليوناني يقوم دائماً بالاعتناء بوالديه، فالمسألة ليست مسألة احترام فقط بل مسألة محبة.

قالت إليزابيث بلطف: «لهذا السبب تريد كوسيما منك العودة إلى أثينا حيث يتواجد أصدقاؤك».

بالنسبة لليونانيين تعتبر دائرة الأصدقاء مهمة أيضاً كأهمية العائلة تماماً.

لم يعلّق كريستيان على كلامها، إلا أن إليزابيث لم تشأ الاستسلام

بسهولة، فأمسكت بكم قميصه وقالت: «أصدقاؤك يفتقدونك».

- رحل أصدقائي كلهم.

- لا...

أوقفها قائلاً: «إليزابيث! لقد رحلوا جميعاً. ماتوا مع شقيقي في فرنسا. جميع الذين هلكوا واختنقوا في الثلوج كانوا أصدقائي... لم يكونوا زملائي فقط بل أصدقائي أيضاً».

شعرت إليزابيث بالألم، وأغمضت عينيها. لماذا؟ لماذا ضغطت عليه؟

- أنا آسفة.

- لم تكوني على علم بذلك... لابأس!

- لكنني ظننت... قالت كوسيما...

ردد كريستيان بمرارة: «كوسيما؟ قريباً ستتعلمين أن ليس بإمكانك أن تصدقي كل ما تقوله».

- بالرغم من ذلك، أظنها تقصد الخير بما قالته.

ساد الصمت السيارة، ومن جديد شعرت إليزابيث أنها قالت أمراً خاطئاً. ضغطت قبضتيها فوق ركبتيها وهي تشعر بعدم الارتياح.

أخيراً رفع كريستيان كتفيه، وقال: «ربما علي أن أخبرك بشأن العشاء. نحن نتجه نحو بلدة صغيرة تبدو بعيدة جداً عن الزمن وقلما يقصدها السياح. خارج تلك البلدة يقع المطعم المفضل لدي... مكان صممه مهندس يوناني وزوجته. الطعام بسيط لكنه طازج والمنظر هناك يبدو رائعاً».

- لماذا تختار مكاناً نائياً وريفياً مع أن بإمكانك الذهاب حيث تشاء لتناول العشاء؟

- أنا أحب الأماكن الهادئة، ولست أهتم بالأماكن المكتظة والمبهرجة.

- أهذه طبيعتك أم أنك...؟

- أنا لم أصبح كذلك بسبب الحادث... لا: أندرياس كان على العكس تماماً، كان يحب الحفلات والمظاهر الاجتماعية.

- ألم تكن ترافقه؟

- بالطبع كنت أرافقه. كان أندرياس صديقي وأعز أصدقائي، لكنني لطالما شعرت بالمتعة وأنا أجلس في الخلف وأشاهده.

بينما راح كريستيان يتكلم ظهر القمر من خلف الغيوم، فأصبح بإمكان إليزابيث أن ترى معالم وجهه. بدا فمه أنيقاً وشفتاه مرسومتين بعناية...

شعرت بانقباض في معدتها، ولم يكن الخوف هو سبب تلك الانقباضات بل الأحاسيس التي أثارها كريستيان في داخلها.

يجدر بها الابتعاد عنه قدر الامكان وترك مسافة بينهما. إن ظلت تجلس على هذا القرب منه ستبقى متوترة وتشعر به بقوة.

ابتعدت إليزابيث عنه قليلاً، ونظرت إلى يده التي يلقيها فوق ركبته. تذكرت شعورها عندما لامست يده ركبتها قبل قليل، بدا كأن تياراً كهربائياً يمر عبر جسدها، ما جعلها تشعر بالنار تشتعل في داخلها.

وضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى، وحاربت فورة الأدرنالين في داخلها. قالت لنفسها: إنه أمر سخيف! عليها أن تهدأ.

قال كريستيان باهتمام وهو يسمع حركتها: «تبدين قلقة».

ضغطت إليزابيث ركبتيها على بعضهما، وقالت: «أعتقد أنني كذلك فعلاً. ربما علي أن أمدد ساقي ليس أكثر. على الأرجح أن الجلوس بالطريقة نفسها لمدة طويلة أرهقني».

- كدنا نصل.

أجبرت نفسها على الابتسام قليلاً بالرغم من أن تفكيرها بقي مشوشاً ومخيلتها تعمل بقوة. إنها تشعر بشدة بوجود كريستيان بجانبها.

سألها بينما أنارت أضواء السيارة الطريق المعتم أمامهما الذي بدا كمنحدر قوي: «أنت لست خائفة. أليس كذلك؟».

أجابت بينما استدارت السيارة بهما فجأة نحو طريق ضيق: «لا!».

- هل أنت جائعة؟

أصدرت صوتاً ناعماً، ثم مسدت فستانها المخملي الناعم بتوتر فوق ركبتيها وقالت: «لا، نعم. ربما!».

ثم ضحكت، إلّا أن نبرة صوتها أظهرت قلقها، فتابعت تقول: «. . . أنا بصراحة، لا أدري ما خطبي».

مد كريستيان يده ليلامس يدها التي وجدها بسهولة مفاجئة في الظلام. ظنت للحظة أنه يريد الامساك بها، لكنه بدلاً من ذلك قلب راحة يدها فتلمس رسغها، ووضع أصابعه ليجس نبضها. مضت عدة لحظات قبل أن يتكلم من جديد ليقول: «قلبك يدق بشكل سريع جداً».

همست قائلة: «أعلم».

ثم حدقت برسغها فيما وصلا إلى موقف سيارات مضاء. رأت المطعم الذي أنارت أضواؤه السيارة. بدت يد كريستيان بضعف حجم يدها، أما بشرته الداكنة فجعلت بشرتها تبدو بلون الكريما.

- هل أنت خائفة مني؟

- لا!

- لكن ربما تشعرين بالخوف للبقاء بمفردك معي. أليس كذلك؟

أخذ قلبها يدق بسرعة أكبر، وقالت: «ولِمَ قد أشعر بذلك؟».

مسد بإبهامه فوق رسغها للحظة قبل أن يتركها، ثم قال: «لأنك الليلة لست ممرضتي وأنا لست مريضك. نحن مجرد شخصين يتناولان العشاء معاً».

قالت فيما كادت أنفاسها تنقطع: «مجرد صديقين».

ثم أبعدت يدها عنه، فيما شعرت فجأة بخوف كبير.

- هل باستطاعة رجل وامرأة أن يكونا مجرد صديقين؟

شعرت إليزابيث بحلقها يجف، إلّا أنها لم تضطر إلى الإجابة لأنهما وصلا إلى المكان الذي يقصدانه. . .

ركن السائق السيارة في الموقف، واستدار ليفتح لها الباب.

في مدخل المطعم تم الترحيب بهما وكأنهما وأصحاب المطعم من عائلة واحدة. أتى صاحب المطعم، فاحتضن كريستيان بين ذراعيه قائلاً: «مرحباً بك كريستيان! أنا سعيد لرؤيتك من جديد».

بدت عاطفة الرجل تجاه كريستيان قوية جداً.

رد كريستيان عليه بالحرارة نفسها، فقال: «وأنا كذلك».

قال الرجل العجوز: «تفضلا!».

بدا شعر الرجل داكناً وقد توزعت فيه الخصل الرمادية. أرشدهما إلى طاولة وضعت في زاوية بعيدة منعزلة محاطة بالنوافذ الزجاجية، وقال: «أفضل مكان لكما. الأفضل لك دائماً بني. اطلب مني ما تريده».

بعد أن غادر صاحب المطعم التفتت إليزابيث نحو كريستيان، وقالت: «هل ناداك بني؟».

- الجزيرة صغيرة، والجميع هنا كعائلة واحدة.

- إذاً، أنت تعرفه جيداً؟

- كنت معتاداً على قضاء وقت طويل هنا.

حدقت عبر النافذة، فبدا لها المنظر مذهلاً. إنهما على قمة جبل مرتفع فوق قرية صغيرة. وعند أقدام القرية امتد المحيط الواسع. . .

خيم الصمت بينهما، ولم يبدُ الأمر جيداً. هناك خطب ما. . . عرفت إليزابيث ذلك.

تململ كريستيان في مكانه، وتحركت فجأة عضلة في وجنته. راقبته إليزابيث وهي تشعر ببعض التوتر.

أصبح الجو حول الطاولة فجأة مختلفاً. بدا كريستيان فجأة وحيداً جداً، وكأنه عاد إلى عالمه الخاص. سألته بتوتر فيما ساورها القلق خشية أن تكون قد قالت شيئاً أو فعلت شيئاً أزعجه: «ما المشكلة؟».

هز رأسه ولم يجب، فأصرت على السؤال: «هل فعلت شيئاً ضايقك؟».

- لا.

- كريستيان، أخبرني!

تحرك فكه وتصلبت عضلات وجنتيه، ثم ضحك فيما بدت ضحكته خشنةً وهو يقول: «أتمنى لو أنني أستطيع رؤيتك».

للحظة لم تعرف ما الذي يمكنها أن تقوله. ارتفعت الحرارة في داخلها،

لتختفي بعد لحظات وتحل محلها ارتعاشة من البرد. سألته وهي تهمس: «لماذا؟».

- أنا فقط أريد رؤيتك.

- لماذا؟ أنا مجرد مصارعة ثيران أخرى.

- آه، لا! لست كذلك.

ارتجفت يداها فاهتزت الملاعق الفضية أمامهما على الطاولة محدثة أصوات طنين خفيف، ثم قالت: «أنت لا تعرف أنني...».

- أنا أعرف كيف تبدين وكيف تبدو رائحتك. أعلم أن طولك بالكاد يصل حتى كتفي، حتى حين ترتدين الكعب المرتفع، وأعرف كيف هو ملمس بشرتك. بشرتك ناعمة جداً ورقيقة مثل الحرير والأزهار.

- أعتقد أنك وجدت علاجاً لآلامك القديمة.

أخفض كريستيان رأسه قليلاً، فيما ثبت عينيه الزرقاوين نحوها، وقال: «أعتقد أنك تشعرين بالخوف من البقاء بمفردك معي».

- أنت مخطئ.

- أحقاً؟

- نعم.

حملت إليزابيث كوب الماء وارتشفت منه بتسرع، لكنها شربت كمية كبيرة ما جعل الماء يصل حتى أنفها، وقالت: «أنا لست خائفة منك. لماذا تراني سأشعر بالخوف منك؟».

- أنا لست لطيفاً مثل الرجال الآخرين.

كاد قلبها يقع من مكانه. نظرت إليه من بين رموشها، وقالت: «لن أعطي أهمية لكلامك حتى بالرد عليه».

- لماذا؟

- لأنك تنصب لي فخاً.

فاجأها كريستيان بالضحك، ثم قال: «أنت فتاتي الذكية».

قفز قلبها مجدداً. سرت ارتجافة في داخلها بدت كمزيج من الثلج

والنار. شعرت بأن دماءها تسيل كالنيران داخل عروقها. فتاته الذكية؟ إنه يعذبها الآن. أنه يريد أن يجعلها تتوق لأن تكون أكثر قرباً منه...

لكنه خطيب امرأة أخرى، وسبق له أن وعدها بالزواج. أما هي فسبق لها أن دخلت الجحيم بسبب رجل لم يكن قادراً على الالتزام بوعوده، ولم يحافظ على شرف الالتزام، بما في ذلك الالتزام بعهود الزواج.

فكرت لو أنها فقط تستطيع الوقوف والهرب. لكن ما من مكان هنا يمكنها الهرب إليه الآن.

- كريستيان! لا يمكنني القيام بذلك. لا أستطيع ممارسة هذه الألاعيب معك.

قطب كريستيان حاجبيه، ما جعل الندوب التي تغطي وجنته تظهر بوضوح: «أي ألاعيب؟».

- هذه... هذا... مهما كان ما تسميه... نحن.

هزت إليزابيث رأسها وهي غير قادرة على جعل الكلمات تخرج من فمها، ثم تابعت تقول: «أعلم أنك قلت لي سابقاً إنك الليلة لن تكون مريضي ولن أكون الممرضة، بل سنكون مجرد رجل و... امرأة، لكن ذلك ليس صحيحاً. أنت مخطئ. أنا ممرضتك. هذا كل ما أنا عليه، وكل ما يمكنني الحصول عليه».

استلقى كريستيان إلى الخلف وألقى يده على الطاولة باسترخاء، ثم قال: «وهل ستبقين ممرضتي عندما تعودين إلى لندن بعد يومين؟».

- ثلاثة أيام.

- بل يومين.

حبست أنفاسها وقد آلمتها أصابعها وهي تشد قبضة يدها، ثم تنفست بهدوء.

اشتد فم كريستيان، وأصبحت خطوط شفتيه أكثر عمقاً ما أظهر جمال وجهه: «إليزابيث! دعينا لا نلعب الألاعيب كما قلت. لِمَ عليك العودة إلى لندن؟».

www.elromancia.com

- لدي عمل أديره كريستيان، وكذلك أنت. موظفو مكتبك ومدير أعمالك يانسون لجعلك تعود إلى أثينا وتتولى زمام الأمور من جديد.

- بإمكاني القيام بذلك من تايغتوس

هزت رأسها بنفاد صبر وقالت: «لا! لا يمكنك ذلك. هذا ليس جيداً. هناك مواعيد واجتماعات ولقاءات صحفية...».

- بإمكان الآخرين القيام بذلك.

حدقت به، وشعرت بغضبها يزداد.

- لكنك كومنتاروس. أنت هو الشخص الذي يصدقه المستثمرون، وأنت هو الشخص الذي يود شركاؤك لقاءه. أنت جزء ضروري من شركة كومنتاروس الناجحة.

كاد يرفع إصبعه ليعارض كلامها، ثم سألها: «هل كوسيما هي التي قالت لك ذلك؟».

- لا! بالطبع لا. هذا ليس هو الموضوع الآن على أي حال. الموضوع هو استرجاع حياتك ومسؤولياتك.

- إليزابيث! أنا لاأزال مالك تلك الشركة.

- لكنك قائد متغيب دائماً. أليس كذلك؟ هذا ليس فعالاً... وبصراحة هذا ليس أنت.

- كيف يمكن لامرأة إنكليزية صغيرة أن تملك مثل هذه الآراء بشأن أمور بالكاد تعرف عنها شيئاً؟

احمرت وجنتا إليزابيث، وقالت: «أنا أعرفك أكثر مما تتصور».

- لكني أتكلم عن عالم الأعمال وإدارة المؤسسات...

- أنا صاحبة مؤسسة أيضاً.

- مؤسسة سبق أن تكلمنا عن سوء إدارتها.

شعرت إليزابيث أن كلامه جرحها، فتراجعت إلى الخلف وحدقت به، ثم قالت: «هذا ليس لطيفاً. إنه كلام غير ضروري».

هز كريستيان كتفيه ليتخلص من توبيخها، ثم قال: «لكنه كلام صادق.

أمنت وكالتك خدمة ضعيفة. قامت ممرضتك بإغوائي، ثم حاولت ابتزازي، أما الأخريات فكن قاسيات جداً».

رمت إليزابيث فوطتها على الطاولة، ودفعت كرسيها إلى الخلف، ثم قالت: «ربما كنت أنت مريضاً ضعيفاً».

- أهذا معقول؟

رددت خلفه بصوت مرتجف مليء بالغضب والسخط: «معقول؟ يا إلهي! أنت مغرور أكثر مما توقعت. أتساءل إن كان ذلك معقولاً؟».

أخرجت نفساً حاداً، وتابعت: «هل تريد الحقيقة؟ هل تريد أن نتوقف عن قول الكلام المعسول الكاذب؟».

بدا كريستيان كأنه يشعر بالملل وهو ينظر نحوها ويقول: «لا تبدأي باصطناع الكلام الآن».

شعرت كأن ضغط الدم يزيد في عروقها. أرادت أن تصفعه بشدة.

- الحقيقة كريستيان أنك رجل مستحيل. أنت أسوأ مريض تعاملت معه خلال تاريخ شركتي، مع أننا نهتم بمئات المرضى كل سنة. أنا أدير هذه الشركة منذ أعوام، ولم أواجه شخصاً أنانياً ومتلاعباً مثلك.

أخذت نفساً عميقاً آخر، وتابعت: «هناك أمر آخر... هل تظن أني أردت أن أغادر مكتبي وأتخلى عن كل التزاماتي وأهرع إليك؟ هل تعتقد أني أعتبر مجيئي إلى اليونان عطلة مريحة؟ لا... لا، أبداً. لكنني فعلت ذلك لأن أحداً لم يتمكن من التعامل معك، ولأن لديك حبيبة يائسة لتراك تسترجع صحتك».

أخذت ساقاها ترتجفان، فيما ترنحت إليزابيث وهي تقف على قدميها. تابعت تقول: «... وبمناسبة الحديث عن حبيبتك، أظن أنه حان الوقت لتتصل بها. لقد انتهت مهمتي هنا. يجب أن تكون كوسيما هنا مكاني الآن!».

٩ - لا تتركيني... لا تتركني!

هرعت إليزابيث إلى خارج المطعم. مرت بجانب ثلاث طاولات أخرى مليئة بالزبائن، لكن ما إن أصبحت في الخارج حيث الليل والهواء البارد حتى شعرت بالخجل من تصرفاتها.

مرت نسمة هواء باردة بجانب المبنى، وتابعت طريقها عبر منحدرات الجبل، فكتفت إليزابيث ذراعيها وهي تشعر بالبرد وبمزيج من المشاعر المتناقضة. تركت رجلاً لا يستطيع الرؤية كي يقوم بشق طريقه بصعوبة وبمفرده إلى الخارج. والأسوأ من ذلك، فكرت إليزابيث وهي ترجع خصل من شعرها كان قد طيرها الهواء خلف أذنيها، أنها تركته أثناء العشاء.

. لا شك أن أعصابها متوترة، لذا وجدت صعوبة في البقاء قرب كريستيان. إنها حساسة جداً ومليئة بالعاطفة، لهذا السبب هي مضطرة للمغادرة وليس لأنه لم يعد لديها عمل هنا. فكرت أنها إن لم تستطع السيطرة على مشاعرها الخاصة، فكيف ستستطيع مساعدته على التعامل مع مشاعره؟

في لندن ستكون الأمور أقل صعوبة. هناك لن تضطر على الأقل إلى رؤية كريستيان. في لندن يمكنها أن تستعيد السيطرة على نفسها.

شعرت إليزابيث بالمرارة، فهزت رأسها على الفور كأنها غير قادرة على تحمل التفكير بأنها بعد مرور بضعة أيام ستكون قد رحلت.

كيف ستتمكن من تركه؟

لكن... كيف يعقل أن تبقى؟

في هذه الأثناء، هي تقف خارج المطعم المفضل لديه، بينما يجلس هو بمفرده في الداخل. يا إلهي! يا لها من فوضى!

أخذت نفساً عميقاً واستدارت، ثم مشت نحو الباب الرئيسي. بدا الطقس بارداً وعاصفاً في الخارج. فركت يديها ببعضهما، وعادت إلى الطاولة حيث كان كريستيان لايزال ينتظر.

بدا هادئاً جداً وقد أحنى رأسه جانباً، لكنها بالرغم من ذلك استطاعت رؤية شحوبه وحزنه! إنه منزعج منها!.

غار قلب إليزابيث وهي تجلس همست وهي تحارب دموعها: «أنا آسفة... أنا آسفة كريستيان! لا أعرف ما الذي علي قوله غير ذلك».

- الذنب ليس ذنبك. ليس عليك أن تعتذري.

- لكن... يبدو كل شيء خاطئاً...

- لست أنت السبب. أنا السبب.

انخفضت رموشه، وبدا متردداً وهو يحاول إيجاد الكلمات المناسبة، ثم تابع يقول: «علمت أنه سيكون عليك العودة، لكنني لم أتوقع أن تقولي إنك سترحلين بهذه السرعة... لم أتوقع أن تعلني هذا اليوم».

بحثت إليزابيث في وجهه. إنه وجه تحبه. تحبه...

بعد أن فاجأتها تلك الكلمة التي فكرت بها أدركت أن ذلك صحيح، فقالت: «كريستيان! أنا لا أتركك، لكنني فقط أعود إلى مكتبي وإلى أعمالي المتراكمة».

تردد كريستيان أكثر هذه المرة قبل أن يمسك كوبه، لكنه أعاده إلى مكانه من دون أن يشرب منه، وقال: «هل بإمكانك أن تنقلي مكتبك إلى هنا؟».

- أتعني مؤقتاً؟

- بل بشكل دائم.

لم تفهم إليزابيث ما يقصده.

- أنا لم أقم بهذه المعجزة كريستيان. أنت من فعلها. تمكنت من السير مجدداً بفضل تركيزك وبفضل الساعات التي أمضيتها في التمرن...

- لكنني لم أكن أهتم للتحسن. لم أكن أهتم لشيء حتى وصلت، أما الآن فأصبحت أهتم.

- هذا لأنك بدأت تشفى.

- إذاً، لا تتركيني وأنا أتماثل للشفاء. لا ترحلي بعد أن عادت الأمور لتسير بشكل جيد وصرت أشعر بتحسن.

أغمضت عينيها والألم والأمل يمتزجان بداخلها كأنهما توأمان.

- لكن إن بقيت هنا، ونقلت مكتبي إلى هنا كي أساعدك...

هزت رأسها، وتابعت تقول: «ماذا عني؟ ما الذي سيحدث لي بعد أن تشفى؟ حين تصبح بصحة جيدة؟».

شعرت بالارتياح لأنه لم يستطع رؤية دموعها التي كانت مجبرة على التخلص منها قبل أن يلاحظ أحد الموجودين في المطعم أنها تبكي.

- حالما تحصل على ما تريده مني هل سأجمع أمتعتي وأعود إلى لندن من جديد؟

لم يقل كريستيان شيئاً، لكن معالم وجهه بدت قاسية وصلبة.

- سامحني كريستيان، لكن البقاء في اليونان يجعلني أحياناً أشعر بعذاب كبير.

عليه أن يدرك أنها لا تريد أن تجرحه، لكنها أيضاً تحاول حماية نفسها. تركه وخسارته سيؤلمانها كثيراً، لكن البقاء بقربه لرؤيته يلتقي بامرأة أخرى من جديد سيحطم قلبها. تابعت تقول له: «أنت تعجبني كريستيان. أنت حقاً تعجبني».

- وأنت أيضاً تعجبينني كثيراً... جداً.

- لكن الأمر ليس سهلاً.

- أنا لا أفهم. أنا لا أفهم أي شيء مما تقولينه، لكنني فقط أعرف ما أفكر به، وأنا مؤمن أنك تنتمين إلى هذا المكان... وإلي.

إنه يقول الكلمات التي أرادت أن تسمعها، لكنها لا تحتاج إلى سماعها بهذه الطريقة. إنه يريدها كي تساعده، ولأنها ملائمة وداعمة، وهي في الوقت نفسه تحثه على التحدي. إنه يريد رفقتها لأنها ستفيده، لكن ما الذي ستستفيده هي إن بقيت؟

أضاف كريستيان: «إليزابيث! عزيزتي...! أنا أحتاج إليك».

تغلغل صوته إلى أعماق قلبها، وعادت الدموع من جديد لتملأ عينيها، وأجبرت نفسها مرة أخرى على مسحها بسرعة.

- لا عجب أن لديك عشيقة في كل قارة، فأنت تعرف تماماً ما تريد المرأة أن تسمعه.

- أنت تغيرين الموضوع.

مسحت إليزابيث دمعة أخرى، وقالت: «أنا فقط أحاول توضيح الأمور».

- لكن كلامك ليس دقيقاً.

- قالت كوسيما...

- هذا لن ينفع. أليس كذلك؟ هيا، فلنذهب!

وقف كريستيان بسرعة، وقبل أن يستقيم في وقفته كان صاحب المطعم قد أصبح إلى جانبه. اعتذر كريستيان منه قائلاً: «أنا آسف، لكن علينا أن نغادر».

ضم صاحب المطعم يديه إلى بعضهما، وقال: «لكن كل شيء جاهز. نحن على وشك إحضار الطعام. هل أنت واثق؟».

لم يتردد كريستيان، بل سحب محفظته من جيبه ودفع الحساب نقداً، ثم قال: «أنا واثق. هل بإمكانك إبلاغ السائق بالأمر؟».

هز الرجل العجوز رأسه، وقال: «نعم، كريستيان. على الأقل دعني أوضب لك وجبتك لتأخذها معك. ربما تشعر بالجوع لاحقاً، وتود تناول شيء منها. هل توافق؟».

- شكراً لك.

بعد خمس دقائق كانا قد أصبحا في السيارة، يجلسان في جهتين منفصلتين من مقعد الركاب، بينما أخذت الرياح تهب في الخارج. أخذت حبات المطر الكبيرة تتساقط بقوة فوق زجاج السيارة. أدار كريستيان وجهه إلى الأمام مباشرة ولم يتحرك، أما إليزابيث فوضعت يديها فوق بطنها وأخذت تحدق

من نافذة السيارة نحو المناظر في الخارج بالرغم من الظلام الذي يخيم على المكان.

لم تفهم ما الذي حدث للتو في المطعم الليلة. كل شيء كان يسير بشكل جيد حتى جلسا، ثم...

ثم... ماذا؟ هل كوسيما هي السبب؟ أهو رحيلها؟ ماذا؟

بينما اتجهت السيارة نزولاً عبر الجبال شدت إليزابيث قبضتيها أكثر وهي تشعر بالندم وخيبة الأمل.

أخيراً سألته في محاولة لكسر الصمت: «ما الذي حدث؟ بدا كل شيء جيداً عندما كنا في المروحية».

لم يجبها كريستيان لكنه استدار نحوها، فراحت تحدق في عينيه وهي تنتظر إجابته. عليه أن يتكلم... عليه أن يتواصل معها.

لكنه لم ينطق بكلمة. بدا طويلاً وداكناً وبعيداً جداً.

- كريستيان! أنت تتصرف بفظاعة. لا تفعل هذا!

تصلب فكه وتحركت رموشه، لكن تلك كانت ردة فعله الوحيدة. فكرت أن بإمكانها أن تكرهه في تلك اللحظة... تكرهه، ليس الآن فقط بل إلى الأبد. إنه يتجاهلها. هذا أكبر عقاب تمكنت من التفكير به. عقاب من الصعب جداً تحمله.

قال أخيراً: «سيشكل الطقس مشكلة لنا. لن نتمكن من الطيران. للأسف لن نتمكن من العودة إلى تايغتوس الليلة. سنبقى في العاصمة شورا».

كان السائق قد حرك السيارة داخل الزحمة الآن، وهو يقودها عبر بلدة مجاورة للمرفأ. إن كانت هذه هي العاصمة فهي ليست كبيرة. إنهما بمحاذاة الشاطئ الآن، وهم يمرون بجانب البيوت والكنائس والمحلات وهي مقفلة بمعظمها. على مسافة بعيدة رأت إليزابيث حصناً كبيراً.

أخذت مساحات الزجاج الأمامي للسيارة تصدر صوتاً إيقاعياً. نظرت إليزابيث خارج نافذتها وهي تحاول رؤية الحصن بشكل أوضح. بدا الحصن

مرتفعاً فوق المدينة، وقد بني فوق صخرة تشكل جزءاً منها. لاشك أن منظر الشاطئ يبدو مذهلاً منه أثناء النهار.

سألته: «هل حجزت لنا في فندق؟».

- لن ننزل في الفندق. سنبقى في منزل خاص.

نظرت نحوه، وهي لاتزال تشعر بالألم بسببه: «أهو منزل أحد الأصدقاء؟».

- لا! إنه منزلي. إنه واحد من المنازل التي أملكها.

أصبحوا الآن قريبين جداً من الحصن، وتمكنت إليزابيث من رؤية الحجارة التي بني بها القصر الذي أقيم فوقه.

- هل مازلنا بعيدين عن منزلك؟

- لا أعتقد ذلك... لا. لكنني أعترف أنني لا أعرف أين نحن تماماً الآن.

بالطبع كريستيان لا يمكنه أن يرى، ولن يعرف تلقائياً في أي اتجاه يسيرون أو أي طريق يسلكون.

- نحن نتجه نحو قصر.

- إذاً، كدنا نصل.

- هل المكان قريب من القصر؟

- المكان هو القصر نفسه.

- منزلك هو هذا القصر؟

- إنه أحد ممتلكاتي.

ارتفع حاجباها، وسألته: «وما هو عدد ممتلكاتك؟».

- ليست كثيرة.

- أكلّها مثل هذا؟

- إنها مختلفة قليلاً عن بعضها. المنزل في تايغتوس، القصر هنا، وبعض الممتلكات في أماكن مختلفة.

- وهل كلها... ضخمة؟

- كلها تاريخية. بعضها كان مجرد حطام عندما اشتريتها، وبعضها كان يستخدم من قبل. لكن هذا ما أفعله. هذا جزء من عمل شركات كومتاروس. أنا أشتري الأماكن الأثرية، وأجد طريقة ما للاستفادة منها.

أعادت إليزابيث انتباهها نحو القصر من جديد، فرأت الجدران الضخمة والأبراج والأسيجة العالية المحيطة به.

- أهذا قصر حقيقي؟

- بدأ بناؤه في القرن الثالث عشر وانتهى في القرن الخامس عشر.

- وما الذي تفعله به؟

بدا صوته رقيقاً وممازحاً وهو يقول: «بإمكان المسؤول عن حساباتي أن يخبرك أنني لا أستفيد منه بما يكفي، وأنه يشكل مصدر استنزاف لثروتي. لكن بعد أن اشتريته منذ ثلاث سنوات حولته إلى فندق خمس نجوم كما خططنا له».

- إذاً، أنت تنزل هنا؟

- لدي جناح محجوز دائماً لاستخدامي الشخصي، لكنني لم أزره منذ ما قبل الحادث.

- وهل يبقى خالياً طيلة فترة غيابك؟

اشتدت الرياح فجأة، وأخذ المطر يلطم السيارة بعنف. لم تعلم إليزابيث إن كان السبب سؤالها أم الطقس، لكنها رأت ابتسامة خفيفة على وجه كريستيان.

- أنت تبدين كمسؤول المحاسبة لدي الآن. لكن، لأجيب عن سؤالك... إنه ليس خالياً. كنت أعمل مع مهندس إيطالي على تحويل الأجنحة بهدوء وحذر إلى شقق راقية. تم الانتهاء من جناحين حتى الآن، وأتوقع أن يتم العام المقبل الانتهاء من تحويل جناحين أو ثلاثة أخرى إلى شقق. عندها ينتهي المشروع.

تباطأت سرعة السيارة، وما لبثت أن توقفت، ففتحت أمامهم بوابة حديدية. نزل السائق ليفتح لها الباب قائلاً: «لقد وصلنا».

فجأة ظهر من العدم ستة موظفين يرتدون الزي نفسه، وقبل أن تفهم إليزابيث ما يحدث تم اقتيادها من اتجاه وكريستيان من اتجاه آخر.

تُركت في جناح فخم يتألف من عدة غرف وهي تشعر بالارتباك.

ذكرها المشهد تماماً بطفولتها عندما كانت الابنة الوحيدة لروبرت ستايل، رابع أثرى رجل في أميركا، حين كانت تنتقل هي ووالديها من فندق فخم إلى آخر. ليس لأنهم لا يملكون منزلاً، إذ كانوا يملكون دزينة من المنازل، إلا أن والدتها كانت تحب مرافقة والدها في رحلاته، لذا كانوا يسافرون معه، فتبقى هي -الوريثة الصغيرة- برفقة أمها ومربيتها.

في ذلك الحين لم يكن اسمها إليزابيث هاتشت بل غريس إليزابيث ستايل، ابنة الملياردير. تمتعت بطفولة مليئة بالامتيازات، وأصبح الجميع يحسدونها عندما أصبحت شابة وانتقلت من الفتاة المدللة لتغدو إحدى جميلات المجتمع الراقي.

شعرت بارتياح في الأضواء وبسهولة في التعامل مع الصحافة. استمتعت كثيراً في العام الذي ظهرت فيه إلى المجتمع كشابة أنيقة للمرة الأولى وبالحفلات التي لا تنتهي التي شاركت فيها. تدفقت عليها الدعوات من كل أنحاء العالم، وكان مصممو الأزياء يصممون الأثواب خصيصاً لها.

توفي والداها في وقتين متقاربين، وغدت الثروة ملكها في سن مبكرة. بدا ذلك سلطة كبيرة بالنسبة لفتاة في العشرين من عمرها وكثيراً جداً. كانت تملك مالها الخاص وطائرتها الخاصة ووكيل علاقات عامة، وعندما كان الرجال يخرجون معها لتناول العشاء أو شرب الشاي كانت الصحافة تكتب عنها.

عندها دخل المليونير اليوناني ريكو حياتها كانت ما تزال شابة ولا تملك نية الاستقرار بعد، لكنه سحرها، سيطر على حواسها ولفت انتباهها، وحصل على عاطفتها بسبب الهدايا التي قدمها لها وغير ذلك من الأمور. بعد مرور ستة أشهر أعلنا خطوبتهما، وعندما بلغت إليزابيث الثالثة والعشرين من عمرها أقيم لها عرس أسطوري تحدثت عنه الصحف

والمجلات لأيام.

بعد مرور سبعة أشهر ونصف من الزواج، وجدت زوجها في السرير مع فتاة أخرى.

بقيت إليزابيث معه لأنه توسلها أن تعطيه فرصة أخرى، ووعدها أنه سيتغير ولن يخونها من جديد. لكن مع حلول عيد زواجهما الأول، كان قد خانها مرة تلو الأخرى.

بدا الطلاق مؤلماً لها. طلب ريكو نصف ثروتها، وقام بحملة إعلامية ضدها. اتهمها بأنها أنانية وسطحية، وأنها فتاة ثرية مدللة تحاول السيطرة عليه وإحراجه، وأنها تحاول السيطرة على أمواله كلها، ولا تقبل القيام بالعلاقات الزوجية المطلوبة منها.

عندما وصلا إلى الطلاق لم تعد إليزابيث تطيق نفسها. إنها لا تشبه أبداً تلك الصفات التي وصفها بها، لكن بالرغم من ذلك صدق الناس كلام الصحافة، وحتى هي كادت تصدق ما قرأته. في النهاية كرهت غريس اسمها وثروتها وسمعتها التي شوهتها الصحافة.

انتقلت إلى إنكلترا، وغيرت اسمها، ودخلت مدرسة التمريض، وأصبحت شخصاً آخر... شخصاً مستقراً وقوياً وعملياً.

لكنها الآن عادت إلى اليونان، وبدت الحياة مشابهة للماضي من جديد.

كان عليها ألا تعود إلى اليونان أبداً حتى بسبب الاهتمام بذلك الثري المصاب.

شعرت إليزابيث بالتعب، وأخذت تدور في غرفتها. أين ذهب كريستيان؟ هل ستراه الليلة من جديد، أم ستبقى بمفردها حتى الصباح؟

فجأة أخذ نور الكهرباء يتلاعب إلى أن انطفأ بالكامل، ليتركها في الظلام.

في البداية لم تفعل إليزابيث شيئاً إلا البحث عن السرير لتجلس عليه. بالتأكيد سيعود النور في أي لحظة، أو على الأقل سيحضر أحد موظفي القصر إلى غرفتها ومعه ضوء ما، ربما قنديل أو حتى شمعة. لكن لم يحدث

هذا ولا ذاك. لم يعد نور الكهرباء، ولم يأتِ أحد مع ضوء مصباح.

لم تستطع إليزابيث حتى أن ترى ساعة يدها. لذا لم تعرف كم مضى من الوقت. لكنها فكرت أنه ربما مضت ساعة حتى الآن. أصبحت تشعر بالكثير من الملل، كما أنها شعرت بالجوع.

شقت طريقها بصعوبة نحو الباب، فارتطمت في طريقها بصندوق بجانب السرير ثم بكرسي وطاولة ثم... آخ...! إنه الحائط. وأخيراً وصلت إلى الباب.

بدت الردهة مظلمة أكثر من غرفتها. لم يكن هناك أي بصيص لنور ولا حتى صوت ما. أي امرأة عاقلة قد تعود في تلك اللحظة إلى غرفتها، وتقتنع بأن الليل قد حل وأنه يجدر بها النوم. لكن إليزابيث شعرت بالجوع، كما شعرت بالذعر، لذا لا يمكنها التصرف كامرأة عاقلة الآن. بدأت تمشي نحو الباحة الواقعة إلى الجهة اليسرى وهي تشعر بخوف شديد. علمت أنها ستجد درجاً في مكان ما هناك، لكنها لم تستطع أن تعرف أين هو بالتحديد...

ما إن اعتقدت أنها وجدت الدرج حتى سمعت ضجة ما. لم يكن ذلك صوت باب يفتح بل صوت حركة كائن حي... كائن يتنفس ويئن.

وقفت مكانها وهي تكاد تموت من شدة الخوف. وصلت إلى الحائط فيما راحت يداها ترتجفان، وغدت بشرتها باردة كالجليد.

هناك شيء ما أو أحد ما هنا... في المكان المحيط بالدرج هناك شخص ينتظر.

لم تعد إليزابيث تستطيع تحمل المزيد. وضعت يدها على الحائط لتتلمس طريقها، وركضت عائدة نحو غرفتها، لكن كل ما حولها كان غارقاً في ذلك الظلام، فما عادت تعرف أين هي غرفتها بالضبط أو أين يقع الباب. لم تستطع أن تتذكر إن كانت هناك عدة أبواب بين غرفتها والدرج، وإن كانت قد تركت باب غرفتها مفتوحاً أم لا.

أصابها الرعب بسبب عدم معرفتها لمكانها ولذلك الصوت على الدرج ولما يمكن أن يحدث لاحقاً. تسارعت دقات قلبها بجنون، فأخذت تمشي

وكأنها تدور في حلقة مفرغة. أين هي غرفتها؟ ولِمَ تركتها أساساً؟ وذلك الشيء عند الدرج... أهو يتجه نحوها؟

شعرت بخطوات خلفها، وفجأة لامس شيء ما ذراعها. صرخت إليزابيث بصوت مرتفع، ولم تعرف ماذا يمكنها أن تفعل.

- إليزابيث!

خرج صوتها ممزوجاً بالخوف والارتياح معاً: «كريستيان؟ ساعدني! أرجوك، ساعدني!».

إنه هنا فعلاً. أمسك كريستيان بها بين ذراعيه، وأصبح جسده يحميها الآن.

- ماذا هناك؟ ما المشكلة؟

- سمعت شيئاً ما هناك... إنه شيء...

لم تستطع إكمال جملتها. بدأت أسنانها تصطك ببعضها وجسدها يرتجف، فراحت تضغط وجهها على كتفه التي بدت قوية وصلبة.

أكملت جملتها قائلة: «... شيء مخيف».

قال كريستيان وهو يلف ذراعه حول خصرها ويشدها إليه: «إنها مخيلتك».

لكن خوف إليزابيث يبدو حقيقياً، كما أن الظلام ما زال يلف المكان. لم تكن قادرة على رؤية أي شيء حولها، لذا لم تعرف ما هو ذلك الشيء على الدرج. ربما كان إنساناً أو حيواناً أو حتى وحشاً...

- هناك شيء ما، لكن المكان بدا مظلماً جداً...

- مظلماً؟

أمسكت إليزابيث قميصه بكلتا يديها، وقالت: «نعم. انطفأت الأنوار منذ فترة طويلة جداً... تبدو لي أعواماً، ولم يأت أحد».

- لا بد أن العاصفة هي السبب.

كانت أسنانها لا تزال تصطك ببعضها وهي تقول: «المكان مظلم جداً... أنا لا أحب هذا».

- غرفتك هنا.

بدا صوته قريباً جداً من أذنها، فيما تابع يقول: «تعالي! دعيني أهتم بك. هناك غطاء عند طرف السرير».

أرشدها كريستيان إلى غرفتها، ثم وجد الغطاء ووضعه حول كتفيها وقال: «هل تشعرين بالتحسن؟».

هزت إليزابيث رأسها، فهي لم تعد تشعر بالبرودة نفسها. قالت: «نعم».

- إذاً، يمكنني الذهاب الآن.

- لا!

تمسكت إليزابيث بكم قميصه، ثم وصلت أصابعها إلى ساعده. بدت بشرته مشدودة ودافئة فوق عضلاته الكبيرة الصلبة.

للحظة طويلة صامتة لم يتحرك كريستيان، ثم أمسك بكتفها، بعدئذٍ مرر يده فوق رقبتها لتصل حتى ذقنها.

- من الأفضل أن ترسليني خارج غرفتك.

أغمضت إليزابيث عينيها بسبب الاكتشاف البطيء الذي أخذت أصابعه تقوم به فوق وجهها.

- سأشعر بالخوف إن تركتني.

- في الصباح ستندمين لأنك تركتني أبقى في غرفتك.

- ليس إن حظيت بنوم هنيء.

مرر أصابعه مجدداً فوق وجهها، كأنه يحاول التعرف على شكلها جيداً، وقال: «إن بقيت فلن تتمكني من النوم».

ارتجفت إليزابيث بسبب الوخز الذي شعرت به في أعصابها، ثم قالت: «ليس عليك أن تكون واثقاً من نفسك إلى هذا الحد».

- أهذا تحدٍ؟

أمسك كريستيان يدها ورفعها إلى خده، فيما راحت يده الأخرى تعبث بشعرها لتحل عقدته. حرارة بشرته جعلتها تذوب شوقاً إليه، وأخذ

جسدها يخزها. حركت يدها فوق وجنته بشكل تلقائي كي تتلمس بشرته.

قربه منها أيقظ في داخلها ذلك التوق الذي حرصت على كبته لأسابيع خلت، كما حرك فيها أحاسيس كانت قد نسيتها منذ زمن بعيد.

أرادت أن تشعر بالارتياح... فقالت بصوت أبح: «كريستيان...! عانقني!».

سألها كريستيان بصوت عميق ومليء بالعاطفة: «أهذا حقاً ما تريدينه؟».

لم تجبه إليزابيث بل اقتربت منه، ووضعت خدها فوق صدره. تأوه كريستيان، ثم أمسكها لتقترب منه أكثر، وعانقها كما أراد أن يفعل دوماً... منذ تلك اللحظة التي انحنت فيها فوق سريره لترتب وساداته...

لم يعد بإمكانهما السيطرة على مشاعرهما، فجاء عناقهما عميقاً ومليئاً بالشغف... شعر كلاهما بحاجة قوية إلى البقاء متقاربين، وكأن كلاً منهما يستمد قوته من الآخر.

همست إليزابيث وهي تضع يديها حول خصره ثم ترفعهما نحو رقبته: «أرجوك! أرجوك... ابقَ معي. لا تتركني وحدي!».

تمتم كريستيان وهو يحني رأسه ليعانقها مجدداً: «إلى متى؟ حتى منتصف الليل؟ حتى الصباح؟ حتى الظهر؟».

أصبح من المستحيل عليها أن تفكر بسبب المشاعر التي أثارها فيها عناقه. مرت سنوات منذ كانت بين ذراعي رجل، والآن هي تشعر أنها ضعيفة أمامه... إنه يجردها من قوتها ومن سيطرتها على زمام الأمور، ويعطل حواسها، وهي غير قادرة على فعل شيء حيال الأمر.

١٠ - مخادعة!

ظل كريستيان وإليزابيث متعانقين لفترة طويلة لم يشعرا خلالها بمرور الوقت. خلال هذه اللحظات لم تشعر إليزابيث أنها هي نفسها... شعرت كأنها أخذت من جسدها ورميت داخل شيء أكبر وأعظم منه، وكأن عناق كريستيان أعطاها أملاً في الحياة.

بدا الأمر مذهلاً بالفعل، فقد لامس عناقه أكثر مشاعرها عمقاً ورقة. جعلها كريستيان تشعر أنها جميلة ومحبوبة. همست برقة: «أحبك... أنا أحبك!».

مرر كريستيان يده في شعرها، وأخذت أصابعه تعبث بخصلاته الحريرية. بعدئذٍ شد قبضته حول شعرها، ثم تركه بهدوء وأحنى رأسه ليضمها إليه من جديد، ثم قال: «عزيزتي الممرضة الإنكليزية، كلماتك تجعلني ممتلئاً بالعاطفة والشوق إليك».

أجابته إليزابيث وهي تشعر بالأمان والارتياح: «أنا لست إنكليزية، أنا أميركية».

أبعدها كريستيان عنه كما لو أنه يستطيع النظر إلى وجهها، ثم قال: «ماذا؟».

- أنا أميركية.

ردد بسخافة خلفها: «أنت... أميركية؟».

- نعم.

قال بنبرة جدية لا تخلو من بعض السخرية: «حسناً! هذا يفسر الكثير من الأمور، لا سيما حساسيتك الزائدة. الأميركيات يملكن حساسية

غريبة، ويأخذن الأمور دائماً بشكل شخصي».

قطبت إليزابيث حاجبيها له في الظلام، وقالت: «أعتقد أنك أنت من كان حساساً أكثر من اللازم في البداية، وكنت متعلقاً بأدويتك المخففة للألم إلى حد كبير».

- كفى كلاماً عن أدويتي المسكنة الآن. أخبريني ما لون عينيك؟ أهو أزرق، أخضر أم بني؟

شعرت بوخز مفاجئ وهي تدرك أنه ربما لن يتمكن من رؤيتها ومعرفة شكلها أبداً. تقبلت إليزابيث الأمر من قبل، لكنه بدا الآن أسوأ نوعاً ما.

- لونهما أزرق. أنا لست طويلة... فقط خمس أقدام وأربع بوصات.

- أهذا طولك فقط؟ عندما وصلت إلى منزلي منذ أسبوعين شعرت أن طولك يفوق الست أقدام. جعلت الممرضة بيرلي...

صححت له إليزابيث وهي تضحك: «الممرضة هيرلي».

- جعلت الممرضة هيرلي بيرلي تبدو لطيفة أمامك.

كان على إليزابيث أن تكبت ضحكة أخرى، ثم قالت: «أنت فظيع كريستيان. تعرف هذا أليس كذلك؟».

- هذا ما تقولينه أنت ونصف دزينة من الممرضات الأخريات.

كشرت إليزابيث ودنت منه أكثر، ثم قالت: «إذاً، أنت لم تكتشف أبداً أنني تربيت في نيويورك؟».

- لا، أبداً. إذاً، هل منزلك هناك؟

- كان منزلي هناك. أنا أعيش في لندن منذ سنوات طويلة، وأنا سعيدة هناك.

- هل أنت حقاً سعيدة؟

- حسناً! أنا لا أعيش في لندن فعلاً. أنا أعمل في ريشموند ومنزلي في ويندسور. تلزمني ساعة من التنقل في القطار كي أصل إلى عملي، وأنا أحب ذلك. أنا أقرأ وأهتم بأعمالي المكتبية وأنظم يومي أثناء ذلك.

راح كريستيان يمرر يده ببطء في شعرها مستمتعاً بذلك فيما هو يستمع

إلى حديثها. عندما توقفت عن الكلام عانقها مجدداً. قال بعد قليل: «أخصائي العيون الذي يعالجني مقره في لندن».

تمنت إليزابيث لو أن بإمكانها أن ترى وجهه في تلك اللحظة.

- هل تفكر في تعيين موعد لإجراء عملية لعينيك؟

- ما زلت أفكر بالأمر.

- أحقاً؟

- نعم. أتظنين أنه يجدر بي إجراؤها؟

فكرت بتمهل، وحاولت أن تختار كلماتها بحذر قبل أن تتكلم: «أنت هو الشخص الذي سيعيش مع عواقب ذلك القرار».

تذكرت كلمات بانو حين قال إنه مادام لم يجرِ العملية فهو على الأقل يعيش مع الأمل، وهذا ما يجعله يستمر في العيش. أما إذا أجراها ولم تنجح، فلن يعود هناك ما يأمل به في الحياة.

- ربما من الأفضل أن أجريها لأعرف ما هي تلك العواقب. ربما من الأفضل أن أفعل ذلك وأتخطى الأمر.

أخرج كريستيان نفساً عميقاً، وبدا كأن ثقل العالم وهمومه كلها ألقيت على كتفيه.

وضعت إليزابيث يدها فوق صدره، فشعرت بدقات قلبه تحت يدها.

- احتمالات النجاح ضعيفة، أليس كذلك؟

أجاب وصوته خال من العاطفة: «أقل من خمسة بالمئة».

فكرت أنها احتمالات غير جيدة أبداً، ثم ابتلعت ريقها بصعوبة وقالت: «أنت تبلي حسناً الآن. إن لم تعطِ العملية النتائج المطلوبة هل ستستطيع تحمل ذلك؟».

لم يجبها كريستيان على الفور، لكنه قال أخيراً: «لا أعرف... لا أعرف كيف سأشعر، لكنني أعرف أنني أفتقد لنظري. أفتقد لرؤية ما حولي.

- أنا واثقة من ذلك.

- كما أنني أود التخلص من العصا. أكره أن أعلن للجميع أنني أعمى.

بالإضافة إلى أنني متأكد أنها تجعلني أبدو كالأبله وأنا أحاول تلمس طريقي بها.

- هذا تفكير سخيف!

ابتعدت إليزابيث عنه وجلست باستقامة، ثم وضعت إحدى رجليها فوق الأخرى، وتابعت تقول: «أولاً، العصا لا تجعلك تبدو غبياً. ثانياً، الأمر لا يتعلق بالمظهر. الحب والحياة لا يرتكزان على المظاهر، بل على اللطف والقوة والتواضع والشجاعة».

توقفت قليلاً عن الكلام، ثم أخذت نفساً ثابتاً وتابعت: «وأنت تملك كل هذه المواصفات الجيدة».

مع انتهائها من هذا الكلام عاد التيار الكهربائي وسطعت الأنوار.

نظرت إليزابيث حولها وهي تدرك أن كريستيان لا يستطيع معرفة ذلك.

قالت وهي تنظر نحو كريستيان وتملأ ناظريها من جماله: «عاد التيار الكهربائي، وأنير المكان من جديد».

أخذت تتأمل شعره الأسود ومعالم وجهه القوية الكلاسيكية.

سألها كريستيان بكسل: «هل فاتني شيء؟».

ثم مد يده نحوها، وجعلها تقترب منه من جديد.

قالت وهي تغمض عينيها: «لا».

ضمها كريستيان إلى ذراعيه مرة أخرى وكأن شيئاً لم يتغير حولهما، فحمل إليها عناقه بريقاً وشعاعاً فاقا في توهجهما أنوار الكهرباء...

فجأة وفي وسط عناقهما أصدر بطنها صوتاً عالياً، فضحكت إليزابيث معتذرة وهي تقول: «آسفة! لكنني جائعة».

- إذاً، دعينا نتناول العشاء. أنا جائع أيضاً.

وقفت إليزابيث، وراحت تمشط شعرها بأصابعها لترتب مظهرها.

قالت له وهي تضحك: «أشعر كأنني في المدرسة الثانوية».

عندها فقط تذكرت الأمر المؤلم... كوسيما!

همست من بين أنفاسها، فيما ارتفع ضغط دمها وشعرت بجسدها

يتحول إلى قطعة من الجليد: «يا إلهي!».

- إليزابيث! ما الأمر؟

ضغطت يدها فوق فمها، وحدقت بكريستيان.

- ما المشكلة؟

لم تستطع إليزابيث إلا أن تنظر نحوه وهي تشعر بدوار.

لقد تصرفت بشكل غير لائق... بشكل خاطئ كلياً. إنه ليس لها، ولن يكون لها يوماً. إنه يخص امرأة أخرى. عرفت ذلك منذ البداية...

ظهر الغضب في صوته وهو يقول: «إليزابيث؟ أمازلت هنا، أم أنك رحلت؟ تكلمي معي».

إنه محق. لا يمكنه أن يرى. لم يستطع أن يرى وجهها كي يعرف ما تفكر به أو تشعر به.

وظهرت نظرة ارتباك على وجهه، ثم قال: «هل ندمت منذ الآن لأننا تعانقنا؟».

ندمت؟! كادت إليزابيث تصرخ. ندمت فقط لأنه ليس لها، ولأنه يخص امرأة أخرى ليس أكثر!

سألها فيما بدا الجمود فجأة في صوته: «هل هناك من ينتظرك في لندن؟».

أصبحت تعابير وجهه قاسية. وبينما لاحظت الجو الجليدي الذي ظهر بينهما فهمت أنه معتاد على جعل العالم كله رهن إشارته.

- لا!

- لكن لديك علاقة مع رجل ما. أليس كذلك؟

- لا!

بالرغم من عدم تمكنه من الرؤية، بدا كأن كريستيان يعرف تماماً أين هو. مشى عبر الغرفة نحوها، وما لبث أن جعل المسافة بينهما أقصر حين ضمها بين ذراعيه.

أجفلت إليزابيث إلّا أنها خشيت من غضبه. حرك كريستيان ذراعه

حولها، وشدها نحو صدره لتشعر بالأمان، وقال: «إذاً، ما المشكلة عزيزتي؟ لِمَ تفكرين بالأمر كثيراً؟».

حركت أصابعها فوق صدره، فيما تسارعت دقات قلبها بشكل سخيف.

- بقدر ما أهتم لأمرك كريستيان، إلا أنني لا أستطيع القيام بذلك. إنه أمر خاطئ... خاطئ. إنها غلطة فظيعة.

أبعد كريستيان يديه عنها، وتراجع إلى الخلف، ثم قال: «أتقولين هذا بسبب فقداني للبصر؟ ألأنني لا أرى، وأنت تشعرين بالشفقة علي؟».

- لا!

- إنه أمر غريب! في لحظة تكونين بين أحضاني، ويبدو الأمر رائعاً... والآن تقولين إنه أمر فظيع و...».

أخذ نفساً عميقاً، وتابع: «... تعتبرين عناقنا غلطة».

المرارة البادية في صوته جعلت قلبها ينشطر نصفين. تابع كريستيان يقول: «أعتقد أنني لا أعرفك على الإطلاق».

امتلأت عيناها بالدموع. رأته وهو يرجع خطوة أخرى إلى الخلف، فهمست اسمه قائلة: «كريستيان! لا... ليس هذا ما في الأمر. ليس بالطريقة التي تجعله يبدو بها. أنا... أردت أن أبقى بقربك...».

- إذاً، ما المشكلة؟ هل يتعلق الأمر بكوسيما مجدداً؟ ليسامحني الله! لكن... لِمَ لا أستطيع التخلص منها؟ كلما حاولت التخلص من التفكير بها أجدها في حياتي، والآن حتى في أكثر اللحظات سعادة فيها».

- كريستيان!

- لا... لا! خاب أملي كثيراً بسبب هذه التفاهات... سئمت منك ومن كوسيما. أتقولين هذا بسبب العقد الذي بينكما؟ ألأنها تدفع لك؟ إن كان الأمر يتعلق بالمال أخبريني ما قيمة المبلغ، وأنا أدفعه لك.

- لا يتعلق الأمر بالمال، بل بك أنت.

ضحك كريستيان، لكن صوته بدا مزعجاً في أذنيها.

- كوسيما... كوسيما... تجسيد للشيطان نفسه.

- أنتما... ألستما حبيبين؟

- حبيبين؟ هل فقدت عقلك؟ بسببها أنا لا أستطيع مغادرة السرير، ولا أستطيع الرؤية، ولا أستطيع مواجهة الحياة. لِمَ قد أرغب في امرأة كانت حبيبة شقيقي؟

فتحت إليزابيث فمها من الدهشة، وجف حلقها: «شقيقك؟».

شحب لون كريستيان، وتصلبت الندوب فوق خده.

- كانت كوسيما خطيبة أندرياس. إنه ميت لأنني ذهبت لإنقاذها... أنقذتها من أجله.

هزت إليزابيث رأسها وفتحت فمها أكثر، ثم أغلقته.

بقيت تهز رأسها، ثم حاولت تذكر حديثها مع كوسيما. لم تقل كوسيما بشكل مباشر إنها حبيبة كريستيان، بل قالت إنها تهتم لأمره بعمق وتود أن تراه يعود إلى أثينا. لم تقل إن ما بينهما هو أكثر من ذلك، بل إنها تأمل...

تأمل؟! أهذا كل شيء؟ أهذا كل ما في الأمر؟

- إذاً، أمازلت تريدين الذهاب إلى باريس يوم الاثنين، أم أن ذلك مجرد حجة؟

بدت تعابير وجهه قاسية وكأنه مصنوع من الغرانيت.

أجابته إليزابيث بصوت منخفض: «لايزال علي الذهاب».

- وهل... لايزال لديك شعور بالندم؟

- كريستيان...!

- لايزال موجوداً، أليس كذلك؟

- كريستيان، الموضوع ليس بسيطاً. الاختيار ليس بين الأسود والأبيض.

- إذاً، ما هو الموضوع؟

كل كلمة قالها بدت كأنها تخرج من فمه كالفولاذ.

- أنا...

أغمضت عينيها وحاولت تخيل الطريقة التي ستخبره بها أنها كانت متزوجة، وبمن، وكيف قام زوجها السابق بتشويه سمعتها حتى اضطرت إلى تغيير هويتها كي تهرب منه، لكن الشرح لم يخرج من فمها. الألم القديم ما زال عميقاً جداً. كانت غريس إليزابيث ستايل جميلة وثرية ومشرقة وتتمتع بصلاحيات لا يتمتع بها كثيرون غيرها، لكنها في الوقت نفسه بدت بسيطة وتعتمد على الآخرين في كل شيء، كما تثق بالناس بسهولة وتنجرح بسرعة.

طالبها كريستيان بمتابعة كلامها فهو لن يسمح لها بالهرب منه بسهولة: «أنت، ماذا؟».

- أنا لا أستطيع البقاء في اليونان. لا أستطيع.

- أتعنين بسبب صديقك القديم الذي التقيت به خلال إحدى العطل؟

- كان الأمر أكثر جدية من ذلك.

- جدي... إلى أي حد؟

- لقد تزوجته.

لم يقل شيئاً للحظات طويلة، ثم علّق بقسوة وتوحش من بين أسنانه: «إذاً، هذا يوضح الكثير من الأمور؟».

اقتربت إليزابيث منه قليلاً، وسألته: «ما الذي تقصده؟».

- يبدو أنك لا تعتبرينني رجلاً كاملاً... رجلاً يستحق ثقتك أو احترامك...

- هذا ليس صحيحاً.

- بل هو صحيح.

شد كتفيه بسبب التوتر، وتابع يقول: «أمضينا أسبوعين معاً... بقينا معاً منذ الصباح حتى المساء، فلِمَ لم تخبريني أنك سبق وتزوجت؟ لِمَ جعلتني أعتقد أنها كانت مجرد عطلة رومنسية قصيرة في اليونان انتهتْ بشكل سيء؟».

- لأنني... لأنني... لا أتكلم عن هذا الأمر.

- لماذا؟

- لأنه يؤلمني.... بشدة... يجعلني أشعر بالخوف.

أصبح صوتها أعلى، وانهمرت الدموع من عينيها.

قال كريستيان وقد زادت البرودة في صوته: «أنت لا تثقين بي، كما أنك لا تعرفينني جيداً إن كنت تعتقدين أنني أتودد إلى امرأة وأنا مرتبط بأخرى».

شعرت إليزابيث بقلبها يذوب ألماً. إنه غاضب منها... غاضب جداً.

- أي نوع من الرجال تظنينني؟ إلى أي حد تظنين أنني خسيس؟

- أنت لست...

- هل ظننت أن كوسيما خطيبتي؟

- لم أكن أريد التفكير بتلك الطريقة...

- لكنك فعلت.

- كريستيان! أرجوك، لا... أرجوك، لا تطلق أحكامك علي.

- لِمَ لا؟ أنت تطلقين أحكامك علي.

انهمرت دموعها بكثافة وهي تقول: «أنا أحبك».

هز كريستيان كتفيه بقلة اهتمام، وقال: «أنت لا تعرفين معنى الحب إن كنت تسمحين لرجل بأن يعانقك وأنت تعتقدين أنه خطيب امرأة أخرى».

شعرت إليزابيث كأن قلبها توقف عن العمل.

- كريستيان... لا يمكنني إيجاد الكلمات المناسبة الآن، لكن عليك أن تعرف كيف أشعر... كيف أشعر حقاً. عليك أن تعرف لِما أنا هنا أصلاً، ولِما بقيت طوال هذه المدة.

- من أجل المال. أليس كذلك؟

قال ذلك بسخرية وهو يفتح الباب أكثر.

- لا! لا يوجد مال على الاطلاق. أنا لن آخذ المال منها.

- يسهل قول هذا.

إنه لا يعرف... لا يرى. ربما هذا ما في الأمر. إنه لا يرى كم تحبه وكم تؤمن به وأنها مستعدة لتفعل أي شيء فقط كي تساعده.

توسلت إليه وهي تقترب منه: «أرجوك!».

لم تستطع الاقتراب منه أكثر. ليس بعد أن وضع بينهما ذلك الجدار الجليدي الكثيف الذي يصعب اختراقه، والذي يفصله عن العالم بأسره.

مشى كريستيان عبر القاعة الخارجية نحو الدرج غير مبالٍ بتوسلاتها.

جرحها رفضه لها بعمق. للحظة لم تستطع إليزابيث أن تفعل شيئاً إلا مراقبته وهو يبتعد، ثم فكرت أن ليس بإمكانها تركه يرحل هكذا بهذه البساطة لسبب سخيف جداً وبسبب سوء تفاهم صغير.

الكبرياء! الغرور! هذا ليس مهماً الآن ليبعدهما عن بعضهما. لا شيء يهم إن كانا يهتمان فعلاً لأمر بعضهما. إنها تحبه، ومن الطريقة التي احتضنها بها علمت أنه يكن لها المشاعر. كلاهما اختبرا المعاناة، ويجب أن يعرفا أن الأمور التافهة لا قيمة لها ويجب ألا تقف في طريق سعادتهما.

المهم هو أن نحب ونجد من يحبنا... المهم هو إيجاد شخص يقف إلى جانبنا... شخص يبقى معنا مهما حدث.

تركت إليزابيث باب غرفتها وكبرياءها وغرورها خلفها، ولحقت به عبر الدرج. كانت لاتزال تمسح دموعها، لكنها تعرف أمراً واحداً وهو أنها لن تسمح له بالتخلص منها بتلك السهولة.

بقيت تلحق به، ونزلت خلفه، وبينما كانت تنزل عبر الدرج سمعت صوت باب يفتح، ثم صوت وقع أقدام في الصالة السفلية.

قال صوت رجل بدا مألوفاً بالنسبة لها: «كريستيان! أخبروني أنك وصلت للتو. يا لها من مفاجأة! أهلاً بك في منزلك!».

ريكو؟؟

تجمدت إليزابيث في مكانها، حتى بدا لها كأن قلبها سيتجمد.

سأله كريستيان بصوت منخفض: «ما الذي تفعله هنا؟».

- أنا وصديقتي نعيش هنا لبعض الوقت. ألم تعرف أننا استأجرنا جناحاً؟ ظننت أن أحدهم سيخبرك. على الأقل بانو يعلم بالأمر. تحدثت إليه منذ بضعة أيام.

- كنت منشغلاً.

اهتزت رجلا إليزابيث، فتحركت عبر الدرج. التفت الرجلان نحوها في اللحظة نفسها.

رآها ريكو على الفور، وشعر بالصدمة ذاتها. حدق بها، وضحك بسخافة، ثم قال: «غريس؟».

لم تستطع إليزابيث أن تحدق به أكثر. نظر ريكو نحو كريستيان ثم نحو زوجته السابقة، وسأله: «ما الذي يجري؟».

أجابه كريستيان بحزم: «لا أعرف. أنت أخبرني».

عبس ريكو وهو ينظر نحو إليزابيث، وقال: «أنا أيضاً لا أعرف. لكن للحظة ظننت أنك أنت وغريس كنتما... معاً».

- من هي غريس؟

- غريس ستايل زوجتي الأميركية.

- لا أحد هنا يدعى غريس.

- بلى. إنها تقف هناك فوق الدرج وشعرها أشقر، وهي ترتدي فستاناً أسود.

شعرت إليزابيث بارتباك كريستيان بينما استدار نحوها وهو يحدق في الفضاء. انقبض قلبها، وقالت بهدوء وهي تكره ارتباكه لاسيما أنها هي السبب في ذلك: «كريستيان».

أجاب كريستيان ببساطة: «هذه ليست غريس. إنها إليزابيث. إليزابيث هاتشيت ممرضتي».

ضحك ريكو وقال: «ممرضة؟ آه، عزيزي كومنتاروس! يبدو أنها خدعتك، لأن إليزابيث هي زوجتي السابقة غريس ستايل، وهي امرأة تسعى وراء الثروات بشراهة».

١١ - حلم مزعج

شعر كريستيان كأنه تلقى ضربة قوية في معدته. لم يعد يستطيع التنفس ولا التحرك، بل كل ما استطاع فعله هو الوقوف في مكانه.

إليزابيث ليست إليزابيث؟ أهي حقاً غريس ستايل؟

حاول أن يهز رأسه كي يتخلص من تلك العاصفة التي هبت في وجهه وغطت أفكاره بالغيوم السوداء.

المرأة التي وقع في حبها لم تكن حتى المرأة التي يظنها. ربما هي ليست ممرضة حتى. ربما هي مجرد امرأة تسعى وراء المال كما وصفها ريكو.

تسعى وراء الثروات! رنت الكلمة في رأس إليزابيث فشعرت بالصدمة، ثم بدأت تشعر بحرارة جسدها ترتفع، بعدئذٍ شعرت بالبرودة الشديدة ثم بالحرارة من جديد.

- أنا لست من اللواتي يسعين وراء الثروات...

تمكنت إليزابيث أخيراً من إيجاد صوتها لقول تلك الكلمات. أخذت قدماها ترتجفان تحتها. مشت خطوتين حتى وصلت إلى القاعة حيث كانا يقفان، ثم أكملت تقول: «... بل أنت كذلك. أنت... أنت...».

لكنها لم تستطع إخراج الكلمات من فمها كي تدافع عن نفسها. لم تعد تستطيع أن تتنفس، فكيف يمكنها أن تفكر؟

لقد خانها ريكو. تزوجها من أجل مالها فقط، ثم أطلق الشائعات عبر وسائل الإعلام اليونانية ليشوه صورتها.

شعرت بألم في معدتها وهي تسترجع صور زواجها القاسي والقصير والأشهر الصعبة التي تلت طلاقهما.

لقد جعل حياتها جحيماً، وهي من دفعت الثمن. ليس فقط من أجل طلاقها منه واستقرارها بل من أجل عواطفها وحياتها العملية وصحتها العقلية. تطلب الأمر سنوات كي تشفى منه وتتوقف عن الشعور بالألم وعدم الأمان والغضب... الغضب الشديد!

شعرت بالغضب لأنه خان حبها، خان المنزل والعائلة والأحلام التي كانت مقدسة بالنسبة لها. كان من المفترض أن يشكلا زوجاً وزوجة... ثنائياً سعيداً، لكنها لم تكن بالنسبة إليه إلا علبة مليئة بالمال... بالثروة التي تعوض ميراثه الذي أخذ يتضاءل...

لكن ريكو لم يعرها أي اهتمام. ظل يتحدث إلى كريستيان، فيما ظهر على وجهه اشمئزاز كبير. هذا الوجه الذي كانت تراه في ما مضى وسيماً، لم تعد تراه جذاباً الآن حتى إن أرادت أن تكون موضوعية، فإلى جانب كريستيان يبدو مظهر ريكو باهتاً وصبيانياً. أما كريستيان فبدا رائعاً ورجولياً.

تابع ريكو يقول: «ستقوم بإغوائك، وتجعلك تعتقد أن هذه فكرتك أنت، وعندما تصبح مقربة منك ستخبرك أنها تحبك. ستجعلك تظن أنه حب حقيقي، لكنه مجرد طمع. ستسلبك كل ما لديك...».

صاح كريستيان: «هذا يكفي! سمعت ما فيه الكفاية».

جعل ذلك ريكو يصمت ويتوقف عن تشويه سمعتها أكثر. شحب لون كريستيان حتى بدا كأن ندوبه ستقفز من مكانها.

قالت إليزابيث وجسدها كله يرتجف: «كل ما قاله غير صحيح».

- قلت هذا يكفي!

استدار كريستيان، ومشى مبتعداً نحو الصالة.

شعرت إليزابيث كأن الهواء حولها أصبح خالياً من الأكسيجين، وكأن صدرها أصبح خالياً ولم يعد هناك من وجود لقلبها.

بطريقة ما تمكنت من شق طريق العودة إلى غرفتها. جلست في سريرها، وما لبثت أن استلقت وهي غير قادرة على النوم أو حتى البكاء.

بدا كل شيء سيئاً بشكل لا يصدق. . . بدا سيئاً جداً إلى درجة أنها لم تستطع استيعابه.

استلقت هناك وأسنانها تصطك من الذعر والبرد. أخذت تصلي بأن تكتشف عندما تستيقظ في الصباح وبعد أن تطل الشمس أن كل ما حدث الليلة هو مجرد حلم مزعج.

لكنه لم يكن كذلك.

* * *

في صباح اليوم التالي دقت الخادمة على باب غرفتها، وأعطتها رسالة تفيد بأن السيارة جاهزة لنقلها إلى الطائرة المروحية.

غسلت إليزابيث وجهها وهي تتجنب النظر إلى صورتها في المرآة، ثم رتبت حواشي فستانها المخملي. نزلت الدرج حيث أرشدها رئيس الخدم إلى المكان الذي تنتظرها فيه السيارة.

توقعت أن تعود بمفردها وألا يقوم كريستيان بمرافقتها، لكنه كان قد سبقها إلى السيارة حين وصلت إليها.

همست وهي تصعد إلى مقعدها: «صباح الخير».

بالكاد حرك رأسه ليرد التحية، أما هي فتنبهت إلى ترك أكبر مسافة ممكنة بينها وبينه.

أخفضت رأسها وراحت تنظر إلى أصابعها التي شبكتها فوق حضنها. إنها تشعر بالتعب. . . بتعب شديد.

أغمضت عينيها، وحبست أنفاسها، وغرزت أسنانها بشفتها السفلى.

لم تخرج أنفاسها إلا بعد أن أقلعت السيارة، وتحركت لتترك القصر وتتجه نحو مكان المروحية في الناحية الأخرى من البلدة.

قال كريستيان باختصار: «هل كنت حقاً زوجة ريكو».

كسر صوته الخشن الصمت الذي كان يعم السيارة. ظهر الحقد في نبرته بشكل لم تسمعه من قبل.

فتحت إليزابيث عينيها، ونظرت نحوه، لكنها لم تستطع قراءة شيء من

تعابير وجهه، فقد بدت جليدية إلى أقصى الحدود.

لم تجبه إليزابيث. لم تعرف بما ستجيبه. في حالته الذهنية الحاضرة لن يساعده أي شيء مما ستقوله، ولن يغير ما يفكر به. في النهاية كريستيان هو رجل يوناني. لن يهمه أنها امرأة مطلقة منذ سنوات طويلة. في نظره ستبقى زوجة ريكو.

حدقت إليزابيث من جديد بيديها، وقد بدت عقد أصابعها بيضاء. شعرت بدوار قوي، ولم تعد واثقة من قدرتها على الجلوس بشكل مستقيم، لكنها أجبرت نفسها على ذلك. أخيراً رفعت رأسها وأجبرت نفسها على النظر نحو كريستيان.

قال كريستيان بجمود: «أنا أنتظر».

ملأت الدموع عينيها، فأخذت نفساً آخر، وقالت بصوت خافت ضعيف بالكاد يسمع: «نعم».

- إذاً، اسمك في الحقيقة ليس إليزابيث؟

من جديد لم تستطع إليزابيث الكلام. الألم الذي شعرت به في صدرها بدا قوياً لا يطاق. لم تستطع إلا أن تحدق بكريستيان وهي تتمنى لو أن الأمور سارت باتجاه آخر. لو أن ريكو لم يظهر في ذلك القصر، لو أن كوسيما لم تقف بينهما، لو أنها فقط فهمت من هي كوسيما وما أرادته. . .

- أنا ما زلت أنتظر.

توهج الألم في داخلها وازدادت النيران اشتعالاً.

التفتت نحوه كي تراه بوضوح أكثر، وقالت: «ما الذي تنتظر سماعه؟ هل تنتظر الاعتراف الكبير؟ حسناً! سأقوم بالاعتراف. أنا لم أقم بأي عمل خاطئ. . .».

- بل قمت بكل ما هو خاطئ. . .

قاطعها وهو يتكلم من بين أسنانه المصطكة على بعضها، وتابع يقول: «. . . كل شيء. إن كان اسمك ليس إليزابيث هانشت».

www.elromancia.com

شعرت بالبرد أكثر وأكثر، واتسعت عيناها.

- إن كان ريكو زوجك، فهذا يجعلك شخصاً لا أعرفه أبداً.

أخرجت إليزابيث نفساً بصعوبة وألم.

عندما لم يسمع كريستيان جواباً منها انحنى نحوها. أمسك رأسها ثم أذنها حتى وصل إلى وجنتها وعينيها وأنفها ثم فمها، وقال: «أنت غريس ستايل. أليس كذلك؟».

همست قائلة: «كنت كذلك... كنت غريس ستايل، لكن غريس ستايل لم تعد موجودة».

قال ساخراً: «لكن غريس ستايل كانت امرأة جميلة».

ثم مرر أصابعه ليتلمس شفتيها الناعمتين.

ارتجفت إليزابيث بسبب لمسته، ثم قالت: «لكنني لست هي».

أطلق كريستيان ضحكة بدت السخرية واضحة فيها، وقال: «غريس ستايل ابنة الأميركي الأكثر...».

- لا!

- ...الفتاة الأكثر جمالاً في نيويورك.

- ليست أنا.

- التي تملك ثروة أكبر من ثروة الشاب اليوناني الثري الذي تزوجته.

توقفت إليزابيث عن الكلام.

- والدك روبرت ستايل...

أدارت رأسها بعيداً، وقومت ظهرها، ثم ابتعدت متجنبة لمسته وقالت بثبات: «اختفت غريس ستايل. أنا إليزابيث هاتشت مديرة مركز الدرجة الأولى للرعاية، وهذا كل ما هو مهم عندي وكل ما يجب أن يعرف عني».

أطلق كريستيان ضحكة قوية، وقال: «لكن اسمك القانوني ليس إليزابيث هاتشت».

ترددت إليزابيث وهي تعض شفتها السفلى، فهي تعلم أنها لم تعطِ هذه

المعلومة لأحد من قبل، منذ ذلك اليوم المشؤوم عندما تغير كل شيء.

- هاتشت هو اسم أمي قبل الزواج، أما قانونياً فأنا غريس إليزابيث.

ضحك مجدداً، وبدا صوته متكلفاً ومليئاً بالشكوك.

- هل أنت حتى ممرضة شرعية؟

- بالطبع! عملي قانوني جداً.

ردد خلفها وهو يهز رأسه: «بالطبع».

للحظة لم يتكلم أي منهما. والصوت الوحيد الذي كان كريستيان يسمعه هو حفيف أصابعه فوق ذقنه وفكه.

قال بعد دقيقة من التوتر: «تظنين أنك تعرفين أحدهم... تظنين أنك تعرفين الحقيقة، وفجأة تكتشفين أنك لا تعرفين شيئاً على الإطلاق».

- لكنك تعلم أنني ممرضة، وأنا أحمل شهادة ماجيستير في إدارة الأعمال

- لكنني لا أعرف ذلك، فأنا لا أرى. بإمكانك أن تكوني أي شخص آخر، وفي النهاية أكتشف أنك...

- كريستيان...!

- لو لم أكن أعمى لما نجحتِ بما فعلته. أليس كذلك؟ لو أنني رأيتك لتعرفت إلى هويتك الحقيقية وعرفت أنك لست مجرد مديرة مركز رعاية صغيرة بل الفتاة المشهورة الجميلة غريس ستايل.

- لم يخطر ببالي ذلك على الإطلاق...

- أحقاً؟ هل أنت واثقة؟

- نعم.

أطلق كريستيان صوتاً ينم عن الازدراء، وبعد لحظة توقفت السيارة. وصلا إلى المطار الصغير ليجدا أن المروحية تنتظرهما مع قائدها. وسألها كريستيان: «شهاداتك... باسم من أعطيت؟».

تكلمت وهي تقصد شهادة التمريض وإدارة الأعمال: «شهادتاي من إنكلترا باسم إليزابيث هاتشت».

- هذا ذكاء منك.

فتح السائق باب السيارة لهما، ووقف مستعداً لتقديم المساعدة.

مرت موجة من الذعر بداخل إليزابيث. كل الأمور بدأت تصل إلى نهايتها الآن بسرعة، وهي لم تتمكن من إبعاد المشاكل التي تركض نحوها.

لمست يده، وأرادت أن تلف أصابعها فوق أصابعه، لكنه أبعد يده وكأنهما لم يكونا قريبين من بعضهما من قبل. مع ذلك قالت بحماس: «كريستيان! لم يكن هناك ذكاء في الأمر. انتقلت إلى إنكلترا، وغيرت اسمي بسبب ياسي. لم أشأ أن أبقى غريس ستايل لمدة أطول. أردت أن أبدأ من جديد، وهذا ما فعلته بالضبط».

لم يتكلم كريستيان من جديد حتى بعد أن أصبحا داخل المروحية إلا حين أخبرها أنهما متجهان إلى أثينا وأن هناك طائرة بانتظارها. إنه يريدها أن تعود مباشرة إلى منزلها. كانت حقائبها تنتظرها في مطار أثينا. ستعود إلى لندن بعد ظهر هذا اليوم.

بدت الرحلة صامتة غريبة، ولم يكسر كريستيان الصمت الأليم إلا بعد أن خرجا من المروحية في أثينا.

- لماذا اخترت مجال التمريض؟

أوقفها سؤاله وهي على وشك صعود درج الطائرة الخاصة.

التفتت إليزابيث نحو وجهه بهدوء وهي تضع خصلة شعر وراء أذنها، فيما هي تفكر بسرعة بالتغيرات التي حصلت خلال هذين الاسبوعين. لقد استعاد كريستيان كومنتاروس كل ما كان لديه قبل الحادث. فهو لا يسير من جديد فقط، بل يقف بطوله ويرفع كتفيه بسلطة اعتاد عليها في الماضي.

تابع كريستيان وهو يذكر أسماء جامعات وسط أميركا: «أنت لم تدرسي التمريض في جامعة سميث أو براون أو أياً تكن الجامعة التي قصدتها في الولايات المتحدة. كنت مهتمة بآثار العصور القديمة».

فكرت إليزابيث وهي تضغط أسنانها على بعضها بقوة أنها لطالما أحبت الثقافات القديمة.

أجابته وعيناها مليئتان بالدموع التي رفضت أن تدعها تنهمر: «التمريض مهنة عملية».

فكرت بانتقالها عبر المحيط وبشخصيتها الجديدة وخياراتها، وعلمت أنها كانت مستعدة لتصبح شخصاً آخر... شخصاً أفضل محباً للآخرين.

- التمريض مهنة تتطلب الاهتمام بالآخرين والقيام بأعمال جيدة ومفيدة.

- هذا بالإضافة إلى استغلال الضعفاء.

- أنا لم أفعل ذلك أبداً!

- أحقاً؟

- بالطبع!

لكنها استطاعت أن تعرف من تعابير وجهه أنه لم يصدقها. فتحت فمها لتدافع عن نفسها، لكنها غيرت رأيها. الأمر لا يهم! فكرت بمرارة، ليفكر كريستيان كما يريد.

إنها تهتم لأمره بشكل كبير، لكنها تعبت من كونها الشخص السيء. لم تعد مستعدة لسماع الإهانات أكثر. هي لم تكن يوماً شخصاً سيئاً. عندما كانت في الثالثة والعشرين وفي الرابعة والعشرين من عمرها ربما لم تكن تعرف ما تفعله غير تحمل الملامة، لكنها تعرف الآن. إنها امرأة وليست كيس ملاكمة.

- وداعاً كريستيان، وحظاً موفقاً.

- حظاً موفقاً؟ في أي أمر؟

قال ذلك وهو يقترب منها.

ردة فعله أربكتها، لكن لطالما كان يربكها.

- في كل شيء.

كل ما أرادته الآن هو الذهاب، إنها بحاجة إلى استراحة الآن. علمت أن الأمر سينتهي هنا.

لكن كريستيان كان لايزال يتحرك نحوها، فيما بدت تعابيره سوداء.

www.elromancia.com

قال: «ما الذي تقصدينه بكل شيء؟».

ظهرت ابتسامة ملتوية على فمها، وقالت ببساطة: «أقصد حياتك. لاتزال الحياة طويلة أمامك».

وبسرعة قبل أن يتمكن من متابعة الكلام، صعدت الدرج واختفت داخل الطائرة الفخمة، وجلست فوق أحد المقاعد الجلدية في الحجرة الرئيسية.

لم يكن على متن الطائرة إلا الطاقم وهي.

ثبتت إليزابيث حزام الأمان، واستلقت إلى الخلف في الكرسي الكبير. علمت أنها ستكون رحلة هادئة جداً.

* * *

عندما عادت إلى لندن ابتهجت إليزابيث بسبب القضايا المكدسة فوق مكتبها. فكل ساعة عمل إضافية كانت تعني عدم التفكير بكريستيان أو اليونان أو الأسبوعين اللذين أمضتهما هناك.

الآن بعد أن عادت إلى إنكلترا، ورجعت لاستخدام القطار لتذهب إلى عملها في ريشموند كل يوم، لم تعد تجد تفسيراً لما حدث.

لم تستطع أن تفهم كيف حدث ذلك ولماذا؟

من الأفضل لها أن تكون إليزابيث البسيطة على أن تكون غريس ستايل الفاتنة التي يركع الرجال تحت قدميها، لأن ذلك مجرد توهم في النهاية. تعلمت إليزابيث ذلك بالطريقة الصعبة، فكلما زاد عدد معارفك كلما زاد عدد الأشخاص الذين يحسدونك والذين يستمتعون في رؤيتك وأنت تنهار.

فكرت إليزابيث وهي تضع بعض الأوراق في حقيبتها: من الأفضل أن يعيش الإنسان حياة بسيطة وهادئة ويهتم بشؤونه الخاصة.

ستترك العمل باكراً اليوم لأنها تشعر بألم في رأسها يرفض تركها وشأنها.

إنها في لندن منذ شهرين الآن لكنها لم تشعر بأنها هي نفسها منذ زمن طويل. في الواقع لم تشعر بذلك منذ عادت من اليونان.

نظرت سكرتيرتها نحوها عندما فتحت الباب.

- أمازلت متعبة آنسة هاتشت؟

سألتها السيدة شيبلي ذلك بتعاطف وهي تضع نظارتي القراءة فوق رأسها.

السيدة شيبلي هي من أدارت المكتب عملياً لوحدها خلال غياب إليزابيث، لذا هي لا تستطيع أن تتخيل وجود مساعدة أفضل منها.

كشرت وهي تجيب: «نعم، لاأزال أشعر بالصداع».

أحست بتقلص في أعصاب عنقها جعلها تشعر برغبة في إغماض عينيها.

- أعرف أنني قد أبدو فضولية عزيزتي، لكن عليك رؤية الطبيب. تناولي دواءً ما. سيجعلك الدواء المناسب تتخلصين من آلامك بسرعة، فأنت تبدين بحالة سيئة جداً.

السيدة شيبلي محقة. فإليزابيث تبدو بحالة يرثى لها. إنها تتألم ورأسها يكاد ينفجر ومعدتها تتأرجح بين الغثيان والتقلص. حتى نومها كان متقطعاً وممزوجاً بأحلام غريبة ومزعجة. لكن ما لم تستطع إليزابيث الاعتراف به هو تلك المشاعر القوية التي ما زالت تعذبها وتقض مضجعها تجاه كريستيان كومنتاروس.

عادت إلى المنزل منذ أكثر من شهرين، وهي لم تتمكن بعد من إبعاده عن تفكيرها. بدا الأمر غريباً بالنسبة لها، لكنها لم تستطع إجبار نفسها على نسيانه والتخلص من ذكريات ذينك الأسبوعين اللذين قضتهما برفقته.

أخذ رأسها يدور، وكل ما استطاعت التفكير به هو كريستيان.

لا بد أنه نسي أمرها ولم يعد يتذكرها. بالطبع هو لن يهتم حتى لو علم كم هي مشتاقة إليه وكم تفتقده.

لا شك أن كريستيان يراها مجرد امرأة تسعى وراء الثروات، وشخصاً يستمتع باستغلال الضعفاء.

تمكنت بطريقة ما من الاستغراق في العمل. أخذت تعمل بفتور طيلة اليوم، ثم استقلت القطار عائدة إلى منزلها في ويندسور.

فيما هي جالسة في مقعدها في القطار وقد أصبحت على بعد نصف ساعة من منزلها، تساءلت إليزابيث عما فعله كريستيان بشأن العملية التي يفترض به أن يجريها لعينيه. ماذا عنها؟

مرت موجة من الجليد بداخلها وهي تفكر، أتراه أجرى تلك العملية أم لا؟ وإن كان قد فعل، فهل تراها نجحت؟ هل تمكن من استعادة بصره أم لا؟

تملكتها مشاعر القلق، ما جعلها تشعر ببرودة أكثر وبخوف أكبر. إنها تحبه لكن حبها له ميؤوس منه، فهو لا يبادلها الشعور نفسه.

على أي حال هو لن يكتشف أنها ما زالت تفكر به، وهي لن تسمح له باكتشاف الأمر.

قالت لنفسها: توقفي! أنبت نفسها بسبب ازدياد ذعرها، وذكرت نفسها أنها لن تلتقي به صدفة كي يكتشف الأمر، فهما يعيشان في جهتين متعاكستين من القارة. البحر يفصل بينهما، ولن يلتقيا.

تفاقم ألم رأسها، فتململت بشدة في مكانها وهي تشعر بالقلق حتى تصل إلى المنزل حيث ستأخذ حماماً طويلاً وتأوي إلى السرير لتسترخي.

حاولت أن تلهي نفسها بأمور أخرى. حدقت حولها في حجرة القطار، وراحت تراقب الركاب الآخرين. مالبثت أن لاحظت أن الرجل الذي يجلس بقربها يحمل جريدة. بدا وجه الرجل مخبأ وراء جريدته، فوقع نظرها مباشرة على العنوان فيها: «كومنتاروس في لندن للعلاج».

كومنتاروس!

كريستيان كومنتاروس؟

التقطت إليزابيث أنفاسها، وانحنت إلى الأمام كي ترى المقال بوضوح. كانت قد قرأت سطراً أو اثنين قبل أن يقوم الرجل بقلب الصفحة بفظاظة ليمنعها من قراءة المزيد.

لكن إليزابيث لم تكن بحاجة إلى قراءة المزيد، فقد اكتفت بهذين السطرين لتفهم المغزى من المقال.

قام كريستيان بإجراء تلك العملية الخطيرة في عينيه ذلك اليوم في مستشفى مورفيلد في لندن.

www.elromancia.com

١٢ - وداعاً أيها الخوف!

مشت من محطة القطار إلى منزلها الصغير وهي تشعر بتوتر شديد في أعصابها. خلال السنوات الثلاث الماضية حولت إليزابيث شقتها في ذلك المبنى التاريخي في ويندسور إلى منزل مريح، فقد وجدته المكان المناسب للتخلص من التوتر الذي تسببه مهنتها، إلا أنها اليوم راحت تمشي نحوه بقلق.

بدا شيء ما غير عادي، وكأنما أنبأتها حاستها السادسة بأن الأمور ليست على ما يرام. حثّت خطاها وهي تحاول إقناع نفسها أن هذه مجرد تخيلات ليس أكثر.

ليس هناك من يراقبها، كما أن أحداً لا يلحق بها أيضاً، ولن يحدث أي أمر سيء. لكن عندما رفعت ياقة معطفها إلى الأعلى، وكتفت يديها حول صدرها كي تشعر بالقليل من الدفء لم تستطع منع نفسها من التفكير بأن شيئاً ما سيحدث. أخذ الشعور بالقلق يكبر في داخلها عندما تركت الطريق العام وأسرعت عبر الطريق المرصوف بالحجارة أمام منزلها.

عندما دخلت إليزابيث منزلها، وأقفلت الباب خلفها، بدا منزلها الهادئ منعزلاً تماماً عن محيطه.

إن قام أحدهم باللحاق بها إلى منزلها لن يلاحظ أحد ذلك. لا أحد سيسمعها وهي تصرخ طلباً للمساعدة.

أقفلت إليزابيث الباب الأمامي خلفها، ثم ذهبت إلى المطبخ، واتجهت نحو الباب الخلفي لتتأكد أنه مقفل أيضاً.

في المطبخ وضعت إبريق الشاي، وكانت على وشك إحضار القليل من

التوست عندما سمعت طرقاً على بابها. تجمدت في مكانها وعلبة الخبز لاتزال في يدها. وقفت بصمت لفترة طويلة حتى قُرع باب المنزل من جديد. وضعت الخبز على الطاولة والسكين أيضاً، ثم اتجهت نحو الباب. نظرت من النافذة قبل أن تفتح الباب، فوجدت سيارة جكوار من الطراز الحديث مركونة أمام منزلها، فيما يقف رجل عند الباب يدير ظهره نحوه ووجهه نحو السيارة. لم تستطع إليزابيث رؤية وجهه، لكنها تعرفت إلى طوله وعرض كتفيه وشكل ساقيه ورأسه.

إنه كريستيان! كريستيان هنا!

لكنه أجرى العملية اليوم... من المفترض أنه سيجريها اليوم... هذا ما قالته الصحيفة.

راح قلبها يدق بقوة. أدارت القفل ثم فتحت الباب. لفت انتباهه صوت الباب، فاستدار كريستيان نحوها، لكن عندما واجهها لم يرمش أبداً وبقيت تعابير وجهه ثابتة.

همست إليزابيث وهي تشعر بالبرد: «كريستيان!».

قال بهدوء: «كراتشيت».

نظرت إلى وجهه الذي بدا رائعاً وكامل الوسامة، كما بدا التفاوت بين لون شعره الأسود ولون عينيه الأزرق.

قالت بغباء: «أنت هنا!».

اختفت كل الأفكار من رأسها فجأة، ولم تشعر بسوى الصدمة والخوف.

- نعم، أنا هنا.

أحنى كريستيان رأسه، ونظر نحوها مباشرة. شعرت بقلبها يذوي عطفاً عليه. هو لم يجرِ العملية بعد. لابد أنه غير رأيه.

- كيف عرفت أنني أعيش هنا؟

- لدي عنوانك.

- آه! فهمت.

لكنها لم تفهم فعلاً. عنوان منزلها لا يعطى للمرضى، بالرغم من أنها فكرت أن رجلاً مثل كريستيان لن يصعب عليه اكتشاف مكان سكنها، ولن يتطلب الأمر الكثير من الجهد منه.

عبست إليزابيث وراحت تحدق به، وهي لاتزال تتساءل ما الذي جاء به إلى ويندسور وما الذي دفعه للمجيء إلى منزلها.

بدأ إبريق الشاي في المطبخ يصفر، فأدار كريستيان رأسه ورفع حاجبيه.

شرحت له قائلة: «إنه الإبريق. كنت أعد الشاي... علي أن أطفئ النار».

وقبل أن تنتظر جوابه ذهبت إلى المطبخ وفصلت الإبريق من الكهرباء. استدارت في المطبخ لتجد كريستيان وراءها تماماً. تراجعت خطوة إلى الخلف بتوتر، وقالت: «آه! أنت هنا».

ظهرت ابتسامة على زاوية فمه، وهو يقول: «يبدو أنني أظهر في كل مكان اليوم».

- نعم.

ضغطت يديها فوق تنورتها وهي تشعر بعدم الارتياح. كيف تمكن من شق طريقه إلى المطبخ بهذه السرعة؟ أتراه يرى فعلاً؟ تسارعت دقات قلبها وتوترت أعصابها أكثر، ما جعلها تشعر بأنها ستنهار أمامه. كان نهارها متعباً اليوم. أولاً بسبب الصداع، والآن بسبب كريستيان.

سألته وهي تحاول أن تفهم ما يجري: «هل أنت في إنكلترا منذ مدة طويلة؟».

- أمضيت جزءاً من الشهر الفائت هنا.

قفز قلبها، واضطرت إلى إخراج نفسها ببطء كي تهدأ قليلاً.

- لم أكن أعلم.

رفع كريستيان أحد حاجبيه الأسودين، لكنه لم يقل شيئاً.

- كان من المفترض أن تجري العملية اليوم. أليس كذلك؟

- لماذا؟

- رأيت ذلك في الصحيفة... في الواقع رأيتها في القطار وأنا في طريقي إلى المنزل. كان من المفترض أن تخضع للعملية اليوم في لندن.

- أحقاً؟

شعرت إليزابيث بالارتباك: «هذا ما كتب في الصحيفة».

ابتسم وقال: «فهمت».

استدارت بعدم لتسكب الشاي. التهذيب يفرض عليها أن تسأله إن كان يود شرب الشاي معها، لكن آخر ما أرادته الآن هو إطالة هذه الزيارة. تصارعت مع أفكارها لكن التهذيب غلبها، فقالت: «هل تود شرب الشاي؟».

ظهرت من بين أسنانه البيضاء ابتسامة ساخرة، وقال: «ظننت أنك لن تسأليني».

ارتجفت يديها وهي تخرج فنجاناً آخر وصحناً قبل أن تملأ فنجانه.

أتراه يرى؟ هل هذا معقول؟ لا، إنه لا يرى... لكن شيئاً بداخلها، ربما هي الحاسة السادسة نفسها التي شعرت بها باكراً جعلتها تحتار.

ارتجف صوتها وهي تسأله: «هل تريد التوست؟».

- لا، شكراً.

حدقت به وهي تضع الخبز جانباً. شعورها بالتوتر جعلها تغير رأيها ولا تأكل هي أيضاً.

- ألن تأكلي الآن؟

- لا.

شعرت كأن قلبها يتحرك من مكانه ويسقط على الأرض. كيف عرف أنها لن تأكل؟

- أنت لم تجرِ العملية اليوم؟

- لا...

صمت قليلاً ثم تابع يقول: «أجريتها منذ شهر».

كادت إليزابيث تقع أرضاً. لم تعد قدماها تحملانها. وضعت يدها فوق

طاولة المطبخ كي تساعد نفسها على استعادة توازنها، ثم همست قائلة وهي تنظر إلى وجهه: «منذ شهر؟».

- نعم.

إنه لا يساعدها على الإطلاق.

- هل تستطيع...؟ هل تستطيع أن ترى؟

- ليس بشكل كامل.

- أخبرني... أخبرني... إلى أي حد ترى؟

- لم يعد المكان مظلماً بالنسبة لي. إحدى عيني. أرى فيها بعض الخيالات والأشكال الداكنة، لكنني أرى بشكل أفضل بالعين الأخرى. بالرغم من أنني لن أستطيع أن أقود السيارة أو الطائرة بمفردي إلا أنني أراك الآن.

بدأ قلبها يدق بسرعة، وخافت أن تصاب بدوار أو تفقد وعيها.

- الألوان لا تبدو كما هي. كل شيء يبدو باهتاً، لذا فالعالم يظهر باللونين الرمادي والأبيض لكني أعرف أنك تقفين إلى جانب طاولة ما. وتمسكين الطاولة بيد واحدة، ويدك الأخرى فوق صدرك.

إنه محق... محق تماماً. إنها تضع يدها فوق صدرها لأنها تشعر أن قلبها سيتوقف عن الخفقان.

- كريستيان!

نظر كريستيان إليها، ولم تعرف إن كان عليها أن تبتسم له أو تبدأ بالبكاء. أصبح بإمكانه الرؤية... حتى لو كان يرى بشكل غير كامل بعد، لكن رؤية القليل أفضل من عدم رؤية أي شيء.

- أهذا السبب أنت هنا الليلة؟ ألكي تنقل لي أخبارك السعيدة؟

- ولكي أحتفل معك أيضاً.

ترنحت فوق ساقيها، وقالت: «تحتفل معي؟».

- بالطبع! ألست أنت الشخص الذي يجدر به مشاركتي الاحتفال؟

حدقت إليزابيث به وهي تحاول أن تحافظ على هدوئها وألا تظهر

ارتباكها.

- أنا...؟ لا أعرف لماذا...؟

أسدل كريستيان رموشه، وأخفى عينيه الجذابتين.

- نحن عرفنا بعضنا لأسبوعين ويومين. حصل ذلك منذ شهرين وأسبوعين. كان هذان الأسبوعان جيدين، لكن تخللهما أمر أو أمران مخيبان للأمل.

لم تستطع أن تبعد ناظريها عنه. بدا قوياً وديناميكياً، وبدا صوته آمراً.

رددت إليزابيث خلفه قائلة: «أمران؟».

- أحد أهم الأمور المهينة هو أننا سافرنا إلى كيشيرا لتناول العشاء ولم نأكل. كنا في مطعمي المفضل، ولم نستمتع بوجبة طبيعية.

كتفت إليزابيث ذراعيها فوق صدرها، وقالت: «أهذا أحد أهم الأمور بالنسبة لك؟».

- لو أنك أكلت هناك من قبل لفهمت ما أقصده. لديهم هناك فعلاً طعام مميز. إنه طعام يوناني تماماً كما يجب أن يكون الطعام اليوناني.

رمشت إليزابيث عينيها فيما تكورت أصابعها في قبضة.

- هل جئت إلى هنا كي تخبرني بأنني فوّت أفضل طعام كنت سآكله؟

إنه يثير غضبها! ضغطت قبضتيها فوق صدرها، وهزت رأسها وهي تكاد تنفجر من الغضب.

- لمَ لا تجعل قائد طائرتك يأخذك إلى هناك كي تتناول ذلك العشاء الشهي؟

- لكن ذلك لن يساعدك. هذا لن يجعلك تكتشفين الطعام اللذيذ الذي لم تتمكني من تناوله.

نظر خلفه نحو غرفة الجلوس، وتابع يقول: «... لذا أحضرت لك تلك الوجبة إلى هنا».

- ماذا؟

- لن أطلب منك أن تسافري لتناولها هناك.

كادت إليزابيث تختنق. شعرت كأن عروقها قد امتلأت بالمياه الجليدية.

استدار كريستيان، واتجه نحو غرفة الجلوس التي تغيرت معالمها بينما كانا في المطبخ.

مالك المطعم والنادل اللذان قاما بتقديم العشاء تلك الليلة كانا هنا الآن، وقد أعدا لهما طاولة وكرسيين. كانا يضعان الغطاء الأبيض على الطاولة. أطفئت الأنوار وأضيئت الشموع فوق الطاولة وعلى طاولتها الجانبية بدأت الموسيقى تصدر من حيث لا تدري. لقد حولا غرفة جلوسها إلى مطعم يوناني.

وقفت إليزابيث مأخوذة بالمشهد غير قادرة على الحراك.

- ما الذي يجري؟

- سنقوم بتناول ذلك العشاء الليلة هنا.

مشى نحو أحد الكرسيين ودفعه إلى الخلف كي تجلس إليزابيث عليه، وتابع يقول: «العائلة اليونانية بحاجة إلى الطعام اليوناني».

- كريستيان...!

انخفض صوته وأصبحت تعابيره أكثر قساوة، وهو يقول: «ستكونين لي. أليس كذلك؟».

حدق إليها بعينيه الزرقاوين، وثبت نظره عليها.

بينما التمعت الشموع فوق الغطاء الأبيض صدحت الموسيقى اليونانية في الخلفية. شعرت إليزابيث بدموعها تنهمر فوق وجنتيها. مضى شهران من دون أن تسمع كلمة منه. شهران من دون اعتذار أو طلب سماح أو أي شيء من هذا القبيل. أمضت شهرين من الصمت المؤلم والآن أتى صاحب تلك السلطة ليعبث بغرفة جلوسها.

تابع كريستيان يقول بهدوء: «أعلم أنك لم تكوني بصحة جيدة مؤخراً. أعلم ذلك لأنني كنت في لندن أراقبك».

جلست إليزابيث بضعف، ليس خلف الطاولة إنما على أحد الكراسي في غرفة جلوسها.

- أنت تعتقد أنني امرأة تسعى وراء الثروات.

- تسعين وراء الثروات؟ غريس ستايل؟ المرأة الأكثر ثراءً من أثينا أوناسيس روسيل؟

وضعت إليزابيث يديها في حضنها، وقالت: «لا أريد التحدث عن غريس ستايل».

- أنا أريد ذلك.

جلس في كرسي مقابل لها، وتابع يقول: «... وأريد التحدث عن ريكو وكوسيما وكل الشخصيات القذرة التي ظهرت في مسرحيتنا اليونانية القصيرة».

اختفى صاحب المطعم والنادل في المطبخ. لابد أنهما بدآ يسخنان الأطعمة ويحضرانها لأن الرائحة الشهية بدأت تنبعث في المنزل وتجعل معدتها تصدر أصواتاً غريبة.

- أنا أعلم أن ريكو جعلك تذوقين طعم الجحيم خلال زواجكما، وأن الطلاق بدا أسوأ. دفعك لمغادرة اليونان، وجعل الصحافة تتحدث عنك بشكل سيء خلال السنوات الأربع التي تلت الطلاق. أنا لا ألومك لأنك اخترت اسماً جديداً وانتقلت إلى لندن وحاولت بناء حياتك من جديد.

حبست إليزابيث أنفاسها وهي تعلم أن حديثه سينتهي بـ «لكن». تمكنت من سماع ذلك في نبرة صوته ورؤيتها في طريقة تحريك كتفيه.

تابع يقول: «لكنني شعرت بالانزعاج كثيراً لأنني لم أتمكن من رؤيتك، لا سيما تلك الليلة في قصر كيثيرا كي أقوم بتقييم الموقف بنفسي».

شبكت أصابعها ببعضها كي لا يتنبه ليديها المرتجفتين.

- تلك الليلة بدت كالكابوس. أريد فقط أن أنساها وأن أنسى غريس أيضاً.

- لكنني لا أستطيع أن أنسى غريس لأنها جميلة وهي أنت.

رفع رأسه ونظر نحوها ليتأمل وجهها.

قالت: «أنا لست جميلة».

- كنت جميلة حين كنت في نيويورك، وأنت أكثر جمالاً الآن. هذا لا علاقة له باسمك أو بثروة عائلة ستايل، ولا علاقة له بزواجك وطلاقك أو بعملك في الإدارة إنما بك أنت. غريس ستايل.

همست وهي تحاول جعله يصمت: «أنت لا تعرفني».

- بل أعرفك جيداً. لأنني خلال أسبوعين عشت معك وعملت معك وتناولت الطعام معك وأنت من قام بتغييري. لقد أنقذتني...

- لا!

- إليزابيث، أنا لم أكن أريد أن أعيش بعد الحادث. لم أكن أريد أن أشعر بمدى الخسارة والألم، لكنك بطريقة ما أعطيتني أملاً. جعلتني أصدق أن الأمور قد تصبح مختلفة. قد تصبح أفضل.

- لم أكن طيبة أو لطيفة إلى هذا الحد.

- لا، لم تكوني لطيفة. كنت قوية وقاسية، ولم توافقي على مجاراتي. لم تسمحي لنفسك بأن تستسلمي، وهذا ما كنت أحتاج إليه. كنت أحتاج إليك، ولازلت أحتاج إليك.

أغمضت إليزابيث عينيها، فيما أحرقت الدموع الساخنة جفونها.

اقترب كريستيان منها، ومرر أصابعه فوق وجنتيها، ثم تمتم قائلاً: «لا تبكي! أرجوك، لا تبكي!».

هزت رأسها، ثم قربت وجنتها من كفه وهي تعض شفتها كي تمنع دموعها من السقوط.

- ما دمت تحتاج إلي لماذا سمحت لي بالرحيل؟

- لأنني لم أشعر أنني أستحقك. لم أشعر بأنني رجل يستحقك.

- كريستيان...!

- أدركت تلك الليلة أنه لو كان بإمكاني أن أرى لاستطعت السيطرة على الموقف... لتمكنت من قراءة الوضع بشكل أوضح، وفهمت ما يحدث. بدلاً من ذلك كنت أقف في الظلام، وقد أغضبني ذلك. شعرت بأنني سجين الظلام. عدم القدرة على الرؤية جعلتني أشعر بالغرور والخوف معاً.

- لكنك لم تكن تشعر بالخوف من شيء.

- منذ الحادث أصبحت أخاف من كل شيء. ساورتني الكوابيس ومنعتني من النوم حتى شعرت بأنني سأجن، لكن بعد أن التقيت بك بدأت أتغير. بدأت أجد طريق العودة... طريق العودة إلى نفسي.

حدقت إليزابيث به وقلبها يفيض بالعاطفة وعيناها تحرقانها بسبب الدموع.

- أنا رجل يعتني بامرأته. كرهت عدم قدرتي على العناية بك وأنت امرأتي. عرفت أنك لي منذ اللحظة التي وصلت فيها إلى تايغتوس على ظهر ذلك الحمار السخيف.

ارتجفت شفتاها وهي تبتسم، وقالت: «كانت تلك أطول وأكثر الرحلات تعباً في حياتي».

- إليزابيث، عزيزتي! أحببتك منذ اللحظة الأولى التي التقيتك فيها. كنت مزعجة ورائعة وقد تغلبت شجاعتك علي. شجاعتك وعطفك... لطافتك وقوتك. كل هذه الفضائل التي تكلمت عنها في كيثيرا. قلت لي إن المظهر لا يهم. قلت إن هناك قيماً أهم بكثير وقد وافقت معك. نعم أنت جميلة لكنني لم أستطع أن أرى جمالك إلا اليوم. لم أكن بحاجة إلى جمالك أو لاسم ستايل أو لميراثك كي أفوز بك. بل احتجت إليك، لتكوني معي.

- كريستيان...!

- وأنا لا أزال بحاجة إليك.

امتلأت عيناها بالدموع من جديد، ونظرت حول الغرفة. في العادة كانت تبدو لها تلك الغرفة بسيطة وخالية من الديكور. إنها تعيش بمرتبها الشهري لأنها تبرعت بكل ثروتها تقريباً من أجل الأعمال الخيرية، ولم يخطر ببالها أن تدلل نفسها بالأشياء الجميلة. لكن الليلة بدت غرفة الجلوس مشرقة وذات جو حميم بسبب الشموع والطاولة الرائعة والموسيقى اليونانية الهادئة وحتى مع رائحة الطعام الشهية الآتية من المطبخ.

اقترب صاحب المطعم من الباب، وقال: «العشاء جاهز. الليلة

كلاكما ستأكلان!».

انضمت إليزابيث إلى كريستيان على الطاولة، وللمرة الأولى منذ أسابيع طويلة استمتعت بتناول الطعام. كيف لا تستمتع بالطعام وكل شيء يبدو رائعاً الليلة. أنواع الطعام والنكهات بدت شهية ولذيذة. تناولا لحم الغنم المنقوع والسمك مع البندورة والزبيب والأخطبوط المشوي، وبينما كانت إليزابيث تأكل لم تبعد نظرها عن كريستيان.

لقد افتقدته أكثر مما كانت تتوقع.

مجرد وجوده هنا معها جعلها تشعر بتحسن. جعل كل شيء يبدو جيداً. علمت إليزابيث أن هناك بعض المشاكل العالقة، لكن مشاعرها بدت هادئة وسعيدة، وشعرت بسلام داخلي.

لطالما كان الأمر هكذا معه. هو يجعلها تشعر أنها بحالة جيدة بل بحالة رائعة.

نظرت عبر الطاولة نحوه، وفجأة خطرت في بالها فكرة: «أتعلم؟ قالت لي كوسيما...».

ثم توقفت عن الكلام. ها هي تفعل ذلك من جديد! كوسيما... دائماً كوسيما! عادت لتقول: «لمَ استمر دائماً بالتكلم عنها؟».

- لا أعرف. لكن بإمكانك أن تخبريني بما قالته فمن الأفضل أن أعرف كل شيء.

- لا شيء... لا شيء مهم. دعنا ننسى ذلك.

- لا. أنت من بدأ بالكلام، لذا من الواضح أن الأمر يشغل بالك. ما الذي قالته كوسيما؟

صمتت إليزابيث قليلاً. بدأ العشاء يسير بشكل جيد، والآن فعلت الأمر نفسه الذي فعلته في قصر كيثيرا. قالت: «أنا آسفة كريستيان».

- إذاً، أخبريني، ما الذي قالته؟

- إنك قبل أن تصاب كنت رجلاً لعوباً.

نظرت إليزابيث نحوه من تحت رموشها، وتابعت تقول: «وإنك كنت

تستطيع الحصول على أي امرأة تريدها. و... أنا أستطيع أن أتخيل ما الذي قصدته».

سعل كريستيان فيما أصبح لون وجنتيه داكناً أكثر، ثم قال: «لم أكن يوماً رجلاً لعوباً».

- من الواضح أن النساء لا يستطعن مقاومتك أبداً

- هذا ليس صحيحاً.

- إذاً، ألم يكن لديك يوماً موعدا غرام في قارتين مختلفتين مع فتاتين مختلفتين في الوقت نفسه؟

- هذا أمر مستحيل جغرافياً وجسدياً.

- إلا إن كنت مسافراً من سيدني إلى لوس أنجلوس.

كشر كريستيان وقال: «حصل ذلك مرة واحدة. لو لم يكن هناك من فارق في الوقت لما تمكنت من فعل ذلك».

ابتسمت إليزابيث ابتسامة باهتة وسألته: «هل تفتقد ذلك النوع من الحياة؟».

- لا. يا إلهي... لا!

الآن أتى دوره ليضحك. التمعت أسنانه البيضاء فوق بشرته البرونزية. الشمس والتمارين أعطته إشراقاً مميزاً. قال ساخراً: «أن يكون الرجل لعوباً... ذلك لا يشبه الذهاب في نزهة ما. بعض الرجال كانوا يحسدونني على العلاقات الكثيرة التي حظيت بها، لكن الأمر لم يكن سهلاً. كان علي دائماً أن أبقي جميع النساء سعيدات».

شعرت إليزابيث بالتسلية من حديثه، لكنها قالت: «أنت عديم الحياء. ألا تخجل من نفسك؟».

- لا أشعر بالخجل بقدر ما شعرتِ أنت عندما رحتِ تنظرين إلي في البركة في شهر آب الماضي بالرغم من الاتفاق الذي أجريناه بيننا.

- لم أنظر إليك.

- بل فعلتِ. اعترفي بذلك.

احمرت وجنتاها، وقالت: «لم يكن بإمكانك أن ترى ذلك حتى!».

- لكن بإمكاني أن أعرف. هناك بعض الأشياء التي لا داعي أن يراها الإنسان كي يعرفها. تماماً كما لم يكن من الضروري أن أراك كي أعرف أنني أحبك، وأنني سأحبك دائماً، وأنني لا أريد شيئاً أكثر من قضاء ما تبقى من حياتي معك.

علقت أنفاس إليزابيث في حنجرتها. لم تستطع أن تتكلم... لم تستطع حتى أن تتنفس.

وقف كريستيان ومشى إلى جانب الطاولة متوجهاً نحوها، ثم جثا على ركبتيه أمامها وهو يحمل علبة في يده.

- تزوجيني! تزوجيني حبيبتي. تعالي للعيش معي. لا أريد أن أعيش من دونك.

طلب يدها فاجأها وأخافها أيضاً. ليس لأنها لا تهتم لأمره... إنها تفعل كثيراً.. لكن الزواج؟! الزواج من ثري يوناني آخر؟!

تراجعت إلى الخلف في مقعدها، وقالت: «كريستيان! لا أستطيع... أنا آسفة، لا يمكنني».

- ألا تريدين أن تصبحي معي؟

كل ما أرادته هو أن تكون برفقته، لكن الزواج يخيفها. وهي لا تريد أن تشعر بأنها سجينة من جديد.

- أنا أريد أن أكون معك، لكن الزواج...

تقطع صوتها، وشعرت بالتوتر القديم ينتابها من جديد. تابعت تقول: «كريستيان. مررت بوقت عصيب جداً، وآلمني الأمر كثيراً عند انتهائه. لا أستطيع معاودة الكرة من جديد».

وقف كريستيان وهو يقول: «بل تستطيعين».

- لا! لا يمكنني ذلك.

أبعدت كرسيها، وغادرت الطاولة. شعرت بالضيق، ولم تعرف إلى أين ستذهب. إنه في منزلها.

دخلت إليزابيث إلى الغرفة الأخرى المتبقية. إنها غرفة نومها. لكن كريستيان لحق بها. مد يده كي يمنعها من إغلاق الباب خلفها.

قال وهو يمسك بالباب: «اتهمتني بأنني جبان عندما رفضت العلاج. قلت إنني بحاجة إلى استعادة حياتي والوقوف على قدمي من جديد. ربما حان الوقت كي تقدمي تلك النصيحة لنفسك. ربما حان الوقت كي تتوقفي عن الاختباء من حياتك والبدء في العيش من جديد».

دفع كريستيان الباب بتصميم وقوة ليفتحه كله ويدخل خلفها. تراجعت إليزابيث إلى الخلف لكن كريستيان مشى نحوها بتصميم.

- التواجد معك جميل. يبدو الأمر جيداً ومناسباً وكاملاً. التواجد معك يجعلني سعيداً، وأعلم بالرغم من أنني لم أكن أملك القدرة على رؤية ما هو حولي أنك أنت أيضاً شعرت بالسعادة معي، وأنا لن اسمح لتلك السعادة أن تضيع منا.

تراجعت حتى لم يعد هناك من مكان تبتعد نحوه. أصبحت بجانب السرير فيما أخذ قلبها يرعد بقوة في صدرها.

أمسك كريستيان يديها بيديه، ورفعهما نحو فمه ليقبلهما وقال: «أنت تنتمين إلي أنا».

شعرت إليزابيث أن توترها بدأ يتلاشى. دفؤه جعلها تشعر بالأمان والحماية.

همست قائلة: «أنا خائفة».

- أعرف ذلك. أنت خائفة منذ فقدت والديك قبل عام من حصولك على لقب أجمل فتاة، لهذا السبب تزوجت ريكو. ظننت أنه سيحميك ويعتني بك. ظننت أنك ستشعرين بالأمان معه.

ملأت الدموع عينيها، وقالت: «لكنني لم أشعر بذلك».

وضع كريستيان يديها فوق صدره، وقال: «أنا لست ريكو، ولن أقوم بأذيتك أبداً. أنا أريد أن أحبك وأنشئ عائلة معك. أنا أريد أن أمضي كل يوم من عمري برفقتك».

تمكنت من الاحساس بقلبه وهو يخفق تحت يديها. بدا جسده دافئاً وقوياً، كما بدت الندوب فوق وجنته جميلة.

اقترب منها لتلامس شفتاه جبينها، وقال: «كل ما فعلته، بدءاً من محاولة السير من جديد إلى المخاطرة بإجراء عملية جراحية لعيني، فعلته كي أساعد نفسي لأصبح رجلاً من جديد... رجلاً يستحقك».

- لكنني لست المرأة المناسبة.

- لست المرأة المناسبة؟ عزيزتي، انظري إلى نفسك. ربما تكونين خائفة من الزواج، لكنك لست خائفة مني.

انخفض صوته وأصبح أكثر خشونة حين قال بسخرية: «أعرف أنني أشبه الوحش... سمعت بعض الناس يتكلمون عن هذا، لكنك لم تكرهي وجهي...».

- أنا أحب وجهك.

شد قبضته فوق يديها، وقال: «أنت... أنت لا تقومين بالتذلل أمامي. أنت تتكلمين معي وتضحكين معي وتمزحين معي. أنت تكملينني».

أصبح صوته أكثر عمقاً وهو يقول: «برفقتك، أنا أكتمل».

هذا تماماً ما تشعر هي به. إنها تشعر بالكمال برفقته. تسارعت دقات قلبها، وأحست في صدرها بمعاوة المشاعر.

- أنت تقنعينني بطريقة لم يقنعني بها أحد يوماً. إن كنت تحبينني ولكنك لا تستطيعين حقاً مواجهة الزواج، دعينا لا نتزوج الآن. لن نفعل أي شيء يجعلك تشعرين وكأنك وقعت في الفخ. أنا لا أحتاج إلى حفل زفاف أو إلى وضع خاتم باهظ الثمن في يدك كي أشعر أنك ملكي، لأنك ملكي أساساً بوجود تلك الأمور أو غيابها. أنت تنتمين إلى المكان الذي أكون أنا فيه. أنا أعرف ذلك وأشعر به وأؤمن به. الأمر بهذه البساطة.

حدقت إليزابيث به وهي غير قادرة على تصديق التحول الذي طرأ عليه. بدا لها كأنه رجل مختلف عن الرجل الذي التقته منذ ثلاثة أشهر.

سألها كريستيان وهو يرى ملامحها تتغير: «ما المشكلة؟ هل أخطأت بشيء؟ هل فهمت الأمور بشكل خاطئ؟ ألست تشعرين مثلي؟».

فجأة بدا الألم على وجهه، وكاد يفطر قلبها. امتلأ صدرها بالمشاعر الحادة والأليمة، فاقتربت منه أكثر، وقالت له: «عانقني».

أحنى كريستيان رأسه وعانقها برقة في البداية، وفجأة أصبح عناقه أكثر عمقاً. بدت لمسته مألوفة جداً وفي الوقت نفسه بدت متجددة بشكل غريب. هو يحبها، وهي تحبه أكثر مما تصورت أنها قد تحب شخصاً يوماً ما.

بادلته إليزابيث العناق بحرارة، فلف كريستيان يده خلف ظهرها، وأمسك بها بحزم وجعلها تقترب منه أكثر. أعطاها دفء لمساته الشجاعة والارتياح.

همست له قائلة: «أنا أحبك. أنا أحبك... وأحبك... وأحبك».

شعرت كأن ابتسامة صغيرة ظهرت على زاوية فمه، فأضافت تقول: «وأنا أريد أن أكون برفقتك وبقربك في كل يوم لبقية حياتي».

أبعد وجهه عنها وابتسم وهو ينظر في عينيها، وقال: «يقولون إن على المرء أن يكون حذراً حين يتمنى حصول أمر ما».

- أريد البقاء معك كل يوم وإلى الأبد!

- غريس إليزابيث...!

- كل يوم حتى ينتهي الوقت.

- إذاً، لم يعد بإمكانك أن تهربي مني من جديد.

وضعت يديها حول عنقه وهي تشعر بالارتياح والسلام، وقالت: «إن لم تكن تنوي السماح لي بالهرب، إذاً يجدر بنا أن نجعل الأمر قانونياً».

أبعد كريستيان وجهه عنها قليلاً كي يرى تعابير وجهها بوضوح، ثم قال: «هل غيرت رأيك؟».

شعرت إليزابيث بكتلة كبيرة تسد حنجرتها. هزت رأسها والدموع تملأ عينيها، وقالت: «اطلب مني ذلك من جديد».

تمتم كريستيان وصوته يفيض بالعاطفة: «عزيزتي، هل تتزوجينني؟».

- نعم.

قبل جبينها ثم عانقها من جديد. أخيراً سألها: «لِمَ غيرت رأيك؟».

همست وهي تتمسك به بشدة: «لأن الحب أقوى من الخوف، وأنا أحبك من كل قلبي، ولا أريد أن أكون مع أي شخص سواك».

www.elromancia.com
مـــروريـــة